صوت الراوي

حين تفضل مجلس إدارة النادي بقبول اعتذاري عن رئاسة تحرير الراوي، عادت بي الذاكرة للأعداد الأولى من هذه الدورية، فغدوت أقلب صفحاتها، مطالعا عناوين قصصها، فتوقفت عند كل عدد برؤية المودع، بعد رحلة متعة وحميمية وصداقة، مع الإبداع والمبدعين والمبدعات لهذا الفن الأدبي، في الجزيرة العربية والوطن العربي.

شعرت أن رحلة الوداع بدأت من أول عدد، وكأن الوداع أمر حتمي في أي رحلة حياة دنيوية. وحين يأتي هذا الوداع، فإنه لا يعبر عن رغبة قلبية، وإنما يأتي نظراً لتغير ظروف العمل، التي أدرك أنها لن تتيح لي أن أمنح الراوي كل الود الذي اعتدت عليه. والراوي معشوقة يجب أن تمنح كل الحب، وكل العطاء، وإلا فلتمنح لأيدٍ ترعاها وقلوب تعشقها.

أعود إلى عناوين القصص، فتستوقفني قصة واحدة من كل عدد، بدءاً من العدد الأول ووصولاً إلى هذا العدد السادس عشر؛ لتتحول مجموعة هذه العناوين إلى قصة وداعي للراوي، التي بدأت منذ العدد الأول، باعتبار أن بدء أي رحلة مؤذن بانتهائها، والقصة تجيء على النحو التالي:

«في الليلة الأخيرة، أبدأ كتابة القصيدة الأخيرة، فأشعر بالبكاء، حين أشاهد الغراب الأشيب. يأتيني الكابوس، فيضعني داخل طقوس سرية وجحيم. تتنابني وحشة، فأدفن أنين الكلمات في تربة الرحيل داخل البئر. تأتي العتمة في لحظات دامعة، فيكون الربيع بلا ورود، وأشعر أنني الرجل الذي أكله الحزن، فأحس بالحرمان، وأردد أرجوزة الموت»[1].

صدور هذا العدد من الراوي، يتزامن مع مرحلة تغير إداري في نادي جدة الأدبي، حيث تمت إعادة تشكيل مجلس إدارته، وانتخب المجلس الأستاذ الدكتور عبدالمحسن القحطاني رئيساً للمجلس، ورئيساً للنادي. يأتي هذا التشكيل الجديد في أعقاب تقديم الأستاذ القدير عبدالفتاح

1) هذا المقطع يتكون من عناوين ست عشرة قصة، نشرت كل منها في الراوي، بدءاً من –

أبومـدين، ومجلس إدارة النـادي استقـالتهم، رغبة منهم في فتح مجـال التغيير، لمرحلة ثقافية جديدة، تزامنت مع تشكيل الإطار الثقافي، في وزارة الثقافة والإعلام.

وحين أقدم تحيتي وتهنئتي للمجلس الجديد، فإني على ثقة كبيرة، أن النشاط الثقافي، بمحاضراته وندواته ومؤتمراته ومطبوعاته، سيتعزز بشكل أقوى، وسيأخذ أشكالا مغايرة، تتلاءم مع عهد ثقافي جديد. وفي الوقت ذاته، فإن ختام رحلة سردية استمرت ثمان سنوات بصحبة الراوي، تفرض تقديم الشكر والتقدير للداعم الأقوى والأكبر، أستاذي الجليل عبد الفتاح أبو مدين، الذي تعهد الراوي منذ كانت فكرة، إلى أن أصبحت مطبوعة تمثل إبداع الجزيرة العربية، وتتواصل مع الإبداع السردي خارجها. أدعو الله له دوما بمزيد من العطاء، فهو مجموعة رجال في شخصية واحدة، يحمل طموح الشباب، وحكمة الشيوخ، وعطاء الجادين.

أما كلماتي الأخيرة، فهي تحية ود للمبدعين والمبدعات، الذين كانوا وقود سفينة السرد، في رحلة إبداعها، وإلى القراء الأعزاء الذين دفعوا الراوي إلى الثبات والاستمرار.

أودعكم جميعاً، وأرحل بكل طمأنينة، فالناقد المبدع الدكتور حسن النعمي، سيكون الراعي الأفضل، فهو وزملاء التحرير، الذي أشرفوا على الراوي سلفاً، ويدعم من مجلس الإدارة، سيجعلون من الراوي، ودون ريب، مطبوعة أكثر حضوراً في الساحة الثقافية العربية وخارجها.

عبد العزيز السبيل(❖)

- العدد الأول ووصولاً إلى هذا العدد السادس عشر. وهذه القصص حسب ترتيب نشرها في الأعداد هي: الليلة الأخيرة لشريفة الشملان (العدد 1)، القصيدة الأخيرة لهدى النعيمي (العدد 2)، بكاء لفالح الصغير (العدد 3)، الغراب الأشيب لسالمة الموشي (العدد 4)، الكابوس لهمدان دماج (العدد 5)، طقوس سرية وجحيم لحياة الرايس (العدد 6)، وحشة لعلي أحمد زحلة (العدد 7)، أنين الكلمات لسلوى أبو مدين (العدد 8)، تربة الرحيل لشيرين السالمي (العدد 9)، البئر لبدرية البشر (العدد 10)، عتمة لهيفاء السنعوسي (العدد 11)، لحظات دامعة لفوزية الجارالله (العدد 12)، ربيع بلا ورود لعبدالباقي يوسف (العدد 13)، الرجل الذي أكله الحزن ليوسف المحيميد (العدد 14)، الحرمان لفؤاد الجيلاني (العدد 15)، وأرجوزة الموت لمدوح الجبرين (العدد 16).

❖) الدكتور عبدالعزيز السبيل تم تعيينه مؤخراً وكيلاً لوزارة الثقافة والإعلام للشؤون الثقافية.

ضيف العدد

هدى النعيمي

السيرة الذاتية

- قاصة من قطر.
- صدرت لها ثلاث مجموعات قصصية هي:

– **المكحلة** (1997).

– **أنثى** (1998).

– **أباطيل** (2001).

- حاصلة على بكالوريوس العلوم – تخصص فيزياء من جامعة قطر.
- حاصلة على الماجستير في الفيزياء النووية من جامعة عين شمس بمصر، والدكتوراه في الفيزياء الحيوية الطبية من جامعة القاهرة عام 1999م.

- مقر عملها وطبيعته: أخصائية لفيزياء الإشعاع بمؤسسة حمد الطبية في الدوحة.
- تنشر المقالة والدراسات في عدد من الدوريات العربية.
- عضو المجلس الوطني للثقافة والفنون والتراث بدولة قطر.
- كما أصدرت كتاباً جمعت فيه كل مقالاتها ودراساتها النثرية عنونته: (عين ترى... قراءات في الشعر والسرد والمسرح). ويتصدر الكتاب تقديم من عبدالرحمن بن زيدان يشير فيه إلى أن التنويع في اختيار نماذج النقد في الكتاب جعل منهج القراءة لدى هدى النعيمي ذا رؤية واضحة تروم تحليل الظاهرة الأدبية العربية وربطها بالأديب وبالواقع، وبالتالي بالكتابة النسائية وعلاقتها بموضوع الرجل والكتابة في علاقتها بالتحولات الاجتماعية العربية عموماً والخليجية بخاصة.

ويضم الكتاب أربعة أقسام أولها بعنوان (في رؤية الشعر)، ويتألف من أربع دراسات، الأولى حول الشاعر القطري أحمد بن يوسف الجابر، والثانية عن أمل دنقل والإحساس الحاد بالحياة، والثالثة عن المرأة بين الخاص والعام في شعر نزار قباني، والرابعة حول الصور الفنية والبلاغية للقصائد الفائزة في مهرجان الشعر العماني الأول.

أما القسم الثاني من الكتاب فهو تحت عنوان (في رؤية

السـرد)، ويتضـمـن دراسة حول الـواقـع المتخيـل فـي القصـة العربيـة وأخرى حول مجموعة الكاتبـة الكويتيـة ليلى العثمان (حـالـة حب مجنـونـة)، ويضـم كذلـك دراسـة تطبيقيـة علـى مجموعتين قصصيتين ليوسـف إدريس همـا (أرخص ليـالي) و(بيت مـن لحم)، ودراسـة بعنـوان (اسـتـبـاط ثـورة 1919) من ثلاثية نجيب محفوظ.

أما القسم الثالث فهو بعنوان في رؤية الأدب النسائي، ويضم ثلاث دراسات، الأولـى حول لطيفـة الزيات الإبداع والوطنية، والثانيـة صورة الـرجل فـي الأدب الذي تكتبـه المرأة، والثالثة قراءة في كتاب (المرأة واللغة) للناقد عبدالله الغذامي.

ويضـم القسـم الرابع والأخير وهـو بعنوان (في رؤية المسرح) دراسـتين، الأولـى حـول سعـدالله ونـوس، نصوص حادة ورؤى إخـراجيـة، والثـانيـة بعـنـوان (حضور الـتراث فـي مسـرح عبدالرحمن المناعي: تجربة ربع قرن).

❖ ❖ ❖

شـهادات
(1)

(عين ترى) كتاب للقطرية هدى النعيمي

بعد ثلاث مجموعات قصصية أصدرت الكاتبة القطرية هـدى النعيمي كتابها النقدي الأول تحت عنوان (عين ترى... قراءات في الشعر والسرد والمسرح). ويتصدر الكتاب تقديم من عبدالرحمن بن زيدان يشير فيه إلى أن التنويع في اختيار نماذج النقد في الكتاب جعل منهج القراءة لدى هدى النعيمي ذا رؤية واضحة تروم تحليل الظاهرة الأدبية العربية وربطها بالأديب وبالواقع وبالتالي وبالكتابة النسائية وعلاقتها بموضوع الرجل والكتابة في علاقتها بالتحولات الاجتماعية العربية عموماً والخليجية بخاصة.

ويضم الكتاب أربعة أقسام أولها في عنوان (في رؤية الشعر) ويتألف من 4 دراسات الأولى حول الشاعر القطري أحمد بن يوسف الجابر، والثانية عن أمل دنقل والإحساس

الحاد بالحياة، والثالثة عن المرأة بين الخاص والعام في شعر نزار قباني، والرابعة حول الصور الفنية والبلاغية للقصائد الفائزة في مهرجان الشعر العماني الأول.

ويضم كذلك دراسة تطبيقية على مجموعتين قصصيتين ليوسف إدريس هما (أرخص ليالي) و(بين من لحم) ودراسة بعنوان (استنباط ثورة 1919 من ثلاثية نجيب محفوظ).

وعنوان القسم الثالث في رواية الأدب النسائي، ويضم ثلاث دراسات الأولى حول لطيفة الزيات الإبداع والوطنية والثانية صورة الرجل في الأدب الذي تكتبه المرأة والثالثة قراءة في كتاب (المرأة واللغة) للناقد السعودي عبدالله الغذامي.

ويضم القسم الرابع والأخير وهو بعنوان (في رؤية المسرح) دراستين الأولى حول سعدالله ونوس ، نصوص حادة ورؤى إخراجية، والثانية بعنوان (حضور التراث في مسرح عبدالرحمن المناعي تجربة ربع قرن).

الملاحظة: جريدة المدينة اللبنانية.

شهادات
(2)

(أباطيل) للقطرية هدى النعيمي:
قصص تتأرجح بين التراث والعولمة والأنوثة

خلال أربع سنوات أصدرت الكاتبة القطرية هدى النعيمي ثلاث مجموعات قصصية هي (المكحلة) (1997) وأنثى (1998) و(أباطيل) (2001). ومن مجموعة إلى أخرى بدت النعيمي - حاملة الماجستير في الفيزياء النووية والدكتوراه في الفيزياء الحيوية الطبية - تؤكد صوتها المتميز وبصمتها الخاصة في كتابة القصة القصيرة، مجددة العهد لهذا الفن الذي بدا أنه يتراجع أمام زحف الرواية، ومجددة العهد لمن جاء من العلوم إلى الآداب. ولعل مجموعة (أباطيل) تجلو ذلك كله وتتوجه، كما يبدو في ملاعبتها التراث والعولمة وميسم الأنوثة.

في قصة (شخبطة على جدار التاريخ) تقص الأنا أن الهدهد يدعوها إلى جدها الأعلى المنذر النعماني، فتمضي إليه

مـن يومهـا - يومنـا إلـى أمسـه، طـاوية الـزمـن بـين مـدينـتهـا - مدينتنـا وصحرائـه، وإذا بالجد يشيح بكتاب (الحقيقـة الغائبة) هـادراً: (كيف تسمحـون لهـذا الـكـافـر بكتـابـة هـذه الـزندقـة فـي زمنكم؟).

هكـذا يحضر فـي هذا القص فرج فودة صاحب الكتاب، وطه حسين والجاحظ وابن رشـد والحلاج الذي ستثبت القصة مـا ينشـد مـن حين إلـى حين. وتتـلامـع الـدنـانيـر الـذهـب الـتي صممهـا فـرسـاتشـي، فظهـر علـى وجـه: القـديسـة تيريـزا، وعلـى وجه: جورج بوش فيـمـا السـاردة تتحدى جدهـا: أنا مـلكة زمـاني، وسـأحرق بقلـمـي مـاء سـمـائك. وهـو الحـاضـر إذاً فـي مـواجهـة الماضي، يشتبكان كأنما ليؤيدا قمع الكاتب والكتاب.

وفي قصـة (بعـد الألفيـة الأولى) تتوالـى لعبـة صدم اليوم بالأمس، فيحـضر شهريـار بقيـوده المذهبـة في الليلة الثـانية بعد الألف، وتأمـره شهرزاد وقد أكملت حكاياتها في ألف ليلة وليلة، بأكل قيده فيفعل، ثم تبدل قصّها القديم، لتسليه بحكـاية أخرى هي للأمراء والصعـاليك سواء، وستحكيها صويحباتها العزيزات معها.

تضـع بثينـة على رأس شـهرزاد تـاجها الـذي يحوي حكمة أفـلاطون وجـواهـر خـاشـقجي. وتشـكر شـهرزاد لـبثينـة وليـلى ونعيمة وعزة دورهن الريادي المشرف في الاستيلاء على السلطة صباح الـليلة الثـانية بعد الألـف، وكنّ قد أرسلـن عشاقهن (جميل

وقيس وكثيّر وحسن) إلى الحفر في قناة السويس. وإذ يسأل شهرزاد عن سيافه مسرور تضحك كليوباترا ونفرتاري، لقد قطعت النساء رأسه، وحملت ابنته عنبرة سيفه.

وتأمر شهريار سالومي لترقص رقصتها التي لا تنتهي، وتتلقى المليكة رسالة التهنئة من أنديرا غاندي، وتعلمها الحاجبة مارلين مونرو بقدوم زرقاء اليمامة التي تنقل استغاثة نسائية من عمورية، وتقترح إليزابيث أن يطلق شهريار شهرزاد، فيرفض، فتطلب شهرزاد مهلة ألف ليلة، ليقمن في الألفية الثانية بحرية، ثم يكون النظر في الطلاق.

أما قصة (دامس والعزباء) فتلعب ساخرة بالإرث العظيم لداحس والغبراء، عبر حرد الهر دامس عن الطعام سبعة أيام، وإعلان الأمير السندسي الهمام رويشد الأزمري عن مرض دامس العجيب الذي يستعصي على أطباء القصر ومنجميه، حتى يشير عاميّ إلى عشق دامس للقطة النمرية (العزباء): قطة الجيداء ابنة الإمبراطور عامر ذي الصدغين، والحل بزواج الأمير من الأميرة وزواج دامس من العزباء، لكن الجيداء ترفض الأمير، فتندلع الحرب التي جعلت الأحياء ينسون حكاية دامس وكآبته الأبدية، ولوثة الأزمري السرمدية، ليبقى حديث البقاء يتصدر كل الحكايات، أما دامس فكان قد صار في كهف جبلي مع العزباء التي انتفخ بطنها، وراحت تموء كما لم تفعل يوماً في حضن سلطانتها.

إذا كانت الدنانير في قصة (شخبطة على جدار التاريخ) تحمل شارة زمننا – زمن العولمة، فقصة (ليلى وأنا) هي قصة هذا الزمن. وتبدأ بورقة العشرين يورو التي تعطيها الأم لطفلتها كي تبتاع لجدتها من دكان العم كنتاكي قطع دجاج من النوع الأكل للحوم. ويبرق الزمن العولمي من غابة النيون الفاصلة عن بيت الجدة، إلى مقهى الإنترنت الذي حل محل بائع الشوكولا في الغابة، إلى ظهور حسيب لليلى، وهو المختبئ منذ اهتزت النخلة وتساقط الرطب في جوف حوت أزرق، لا يأكل إلا ما يأمره به. حسيب يرد الدعاء عليه بالانقراض فيما يخاطب به ليلى: (لا يا حلوتي، فالانقراض ليس لأمثالي، ولن يصيبني في مقتل، فأنا كائن عولمي، وجدت لأبقى وأسقي الصغار من ينبوع الألفية الوليدة).

في بيت الجدة تلقى ليلى جدتها تلاعب بالشطرنج جدها الميت، وحولها انتشرت أكياس من الهارديز والماكدونالد. وتقص الجدة على الحفيدة قصة الجد الذي حفر البحر الأحمر بأمر السلطان، ليمنع بدو الجزيرة عن الأهرام، وترك قطعة سيحفرها التالون لتصل القناة البحر الأحمر ببحر الفرنجة، ويرقص الجد مع عايدة – في إشارة إلى قناة السويس وأوبرا عايدة.

بجلاء بدا ميسم الأنوثة في قصة (بعد الألفية الأولى)، وكذا يبدو في قصة (أكروبات) حيث الشابة التي حرمت من

تحصيلها الجامعي، حبيسة البيت مـع ابن أمها، لكن الحبس هو حرية الحبيسة التي تطلقها لوحات الرسام الجار فيتفجر الأزرق: حبل الغسيل أزرق، والملاءة وسرير زوج الأم ودفاتر ابن الأم والحمام... والزرقة طاغية مثل الحبس، وحد الحرية.

ويجيء ميسم الأنوثة أكبر وأعمق في قصة (السيدة الجليلة) التي ينفرد بها ضمير المخاطب من بين قصص المجموعة، فيقدم صديقة الزعيم الراحل في ذكراه العشرين، وهي تستعيد ما كان، بالتوازي مع الاحتفالية التي تبدأ بعرض فيلم جنازة الزعيم الجماهيرية، ويوم السيدة الأول بثوب الحداد.

من صحافية وحوار مع الزعيم، مضت السبيل بالسيدة لتصير صديقته فزوجته لعامين، فأرملته لعشرين: (تتوشحين سوادك الدائم وتقفين كالمسمار أمامهم ليمارسوا طقوسهم السنوية). وإذا كانت السيدة قد مالت أخيراً إلى الطبيب العاشق العازب ياسر، وعزمت على فصم سيرة الترمل في الذكرى العشرين، فإنها تتراجع أثناء الحفل، مستسلمة لقيد الزعيم الذي لايزال حياً فيمن تزعم، والقيد بالتالي هو قيدهم أيضاً.

وفي قصة (يحدث للآخرين)، وبضمير المتكلم، تسرد الساردة ما سيجعلها تقول: (رفعت كتفي وصفقت بيدي. أحوال النساء عجيبة). فتلك هي أولاً حال الساردة التي تعيش بعد ثلاثين عاماً عقدة فقد رضيعتها، وتلك هي ابنة العم التي

أجهضت فحمّلت زوجها الوزر بسبب ضربه لها، وأنهت الزواج، وتلك هي القطة التي دهس وليدها فماتت كمداً، وتلك هي أم الساردة التي حملت على تخوم سن اليأس، لكن الحمل لم ينجح. أما الحال الخامسة من أحوال النساء فهي ما حدث لكاتبة فقدت طفلها بعد الولاة، فعاشت ترقب نمو الطفلة أمامها، وكتبت رواية سجلت فيها أحاسيسها وحياة الطفلة المستمرة على رغم الموت. ولقد راجت الرواية وأثنى عليها النقاد، لكن الساردة رأت فيها أسلوباً للمبالغة وحكاية للمتاجرة، وقد ختمت القصة على هذا النحو: (كان يحدث للآخرين كثيراً. لم أتوقف ندما حدث ذلك لي. دخلت غرفتي لأنام، لم أستيقظ حتى الآن).

وتعود الأمومة في هذا الميسم الأنثوي للقصص في خاتمة المجموعة (أسطورة أخرى)، حيث تأتي أيضاً ملاعبة التراث، إذ يسمي الأخرس نفسه باسم جابر بن حيان، ويتكنى بالتوحيدي، ويأمر من صارا والديه بالطاعة. وفي مدرسة القلب المقدّس تسعد دروسه الجنرال براون، فيهديه عمامة لورنس العرب ومسبحة نابليون، وتبتسم له ابنة الجيران آنا كارنينا التي تلوح بطوق الحمامة وتغمز عاشور الناجي (من شخصيات رواية أولاد حارتنا).

يقفل الوليد التلفزيون الذي ينقل بثاً حياً لجنازة رابين، ويذبح أمه، ويأخذ قلبها إلى آنا كارنينا، فيجد أمام بيتها حمامة

ابن حزم وعرية عاشور وباخرة أوناسيس وطائرة جورج بوش وحمار الحكيم. وإذا كانت الجارات يلوين شفاههن فقلب الأم ينبض بالرضا، مادام الذبح يرضي الوليد.

تلوح الظلال التامرية - من كتابة زكريا تامر القصصية - في عصف المخيلة في مجموعة هدى النعيمي (أباطيل)، سواء في ملاعبة التراث أو هتك الحاضر أو ضراوة المتخيل. بيد أن هدى النعيمي تطبع تلك الظلال ببصمتها، وخصوصاً بما في البصمة من الأنوثة، وكذلك بما فيها من خصوصية اللغة، سواء أجاءت مسجوعة ومضارعة للغة التراثية (قصة دامس والعزباء) أو بالعلاقات اللغوية التي تنسجها، كالقول في قصة (الظل **يحترق): (كان البعض يحمل أكياساً وهموماً، والبعض لا يحمل إلا فكرة أو جنوناً) أو كجري الرجل خلف رعبه، ومما يؤكد** بصمة الكاتبة أيضاً تداخل ملاعبة التراث و/ أو العولمة و/ أو وسم الأنوثة في غالب القصص، لينبض الفن بالحسن الإنساني الرهيف والحار والمقلق، سواء تعلق بالمرأة أم بالرجل، وبالفرد أم الجماعة، وبالكبير أم الصغير، كما نرى بتفاوت في قصص (الظل يحترق - في الحفرة - عدالة)، وخصوصاً في القصة الأولى التي تتيخ بالقتامة، والظل يلاحق صاحبه ويحاصره حتى يصير سرمداً هائلاً يحتل الأكوان، بينما ظلال الناس تجري خلفهم في استكانة. ولكن، هل كان ذلك أباطيل، كيما يكون للمجموعة القصصية هذا العنوان؟ أم هي حقائق الأموات في

محـكمـتهـم (قصـة عدالـة) والخنـوع المحـتوم العـمـيـم (قـصـة ستفعلون) وصراخ ذلك الرجل: (يا أهل الـكهف هاكم حصيـاتي علكم تفيقون) فـي قصة (في الحـفرة)؟ هل هـي حقائق ماضيـنا القمعي وحاضـرنا الـعولـي؟ ومـاذا بقـي إذاً مـن الإنسـاني، ومـاذا تبقى له؟

الملاحظة: جريدة المدينة اللبنانية.

نبيل سليمان

أنـــثى(*)

أمطر أبي مبلغاً من المال ضخماً، خوله المبلغ وابتسامة أبي الملتهمة لصفحة وجهه، أن ينبسط على جلدي وينزرع في لحمي وينغرس في مسامي لأسميه زوجي!!.

- أنا زوجة فلان.

وقفت السكرتيرة فجأة عندما سمعت اسم زوجي، ظهرت على شفتيها ابتسامة متعسرة الولادة، سحبت الكرسي الثقيل دون الاستعانة بأحد، ودون أن تفقد ابتسامتها البليدة، أجلستني على الكرسي المريح، وأجلست خادمتي على الكرسي الآخر، رفعت سماعة الهاتف الأسود بجانبها، وطلبت لي فنجاناً من الشاي دون أن أطلب ذلك، ثم استأذنت لتبلغ الطبيبة بوصولي، الطبيبة تخرج أمام سكرتيرتها وقد انتقلت إليها الابتسامة ذاتها.

- أهلاً... أهلاً... شرفت يا مدام.

«مدام»، لماذا يطلق عليَّ الجميع لقب «مدام»، لماذا اختفى اسمي منذ انزرع ذلك الرجل في لحمي وانغرس في مسامي؟

(*) من مجموعة أنثى.

أشتاق أن أسمع اسمي الجميل ذا الحرفين، حتى أمي صارت تناديني «أم ناصر» ولا أدري هل: حوّل اسمي في الشهر العقاري إلى «مدام» أو «أم ناصر»، كما سجل ذلك العقد الذي لم أره؟! في الليلة الأولى، ألقى الغترة والعقال جانباً، ثم فتح أزرار الجلباب الأبيض، وجلس على كرسي من المخمل الأحمر، أشار بإصبعه نحوي:

- تعالي يا «أم ناصر».

- اسمي «مي».

ضحك بشدة، قهقه بشدة أكثر، بدا في غاية السخف أمامي، وهل نطقت بما يدعو للضحك.

- أنت «my».

واستمر في نوبة الضحك الأبله، وسكب في جوفه المزيد من السائل الأصفر الرائق المستقر في قلب الزجاجة الداكنة ذات العنق الضيق والبطن المنتفخة.

«my» أذكر أن أبلة سمية حدثتنا عن هذه الكلمة الإنجليزية في المدرسة، قالت إنها تطلق للدلالة على ملكية الأشياء، طلبت منا أن نوظّفها في جمل مفيدة، بصوت واثق تكلمت: This is my pen كنت أُشير إلى القلم الرصاص في يدي، كنت أقصد أنه قلمي، ملكيتي أنا، من حقي أن أكسره أو أن أستمر في بري رأسه الحادة حتى يتلاشى ويستحيل صفراً.

فهل يقصد الرجل أن يستطيع أن يكسرني إذا أراد؟ أو أن يحيلني صفراً إذا شاء؟؟.

تحسست بطني المنتفخة، وطلبت الإعانة من الخادمة والسكرتيرة لأنهض من مكاني عندما أشارت لي الطبيبة المبتسمة دوماً بدخول غرفة الكشف. تمددت على سرير غير مريح ولا يغطيه الفراش الوثير الذي تعودته منذ شهور، دارت يد الطبيبة على بطني عدة دورات ولم أعترض، لكنني كرهت المادة اللزجة التي بعثرتها فوق جلدي لتمشي بجهاز صغير في خطوط غير مرتبة على البطن المنتفخة، التصقت نظراتي مع نظرات الطبيبة المعلقة على شاشة تليفزيونية تظهر خطوطاً دائرية كثيرة ومتشابكة وغير مفهومة، حاولت فك لغز الخطوط المتشابكة لكن حركتها المتزامنة مع حركة الجهاز على سطح بطني منعتني من ذلك.

سمعت صوت الرجل - زوجي - يسأل «أين هي؟».

السكرتيرة التي لابد تقابله بابتسامة أكثر بلاهة تحاول أن تجلسه على الكرسي الوثير..، ضوء كثيف انبثق من الغرفة المجاورة بدد ظلامات غرفة الكشف وجعل بعض الخطوط الدائرية تختفي.

- ها، ما الأخبار؟ سأل في صرامة معهودة.

- توأم يا سيدي، زوجتك تحمل في أحشائها توأماً.

ظهرت أسنانه تعلن عن فرحة النصر مع إعلان أخبار الطبيبة، ارتد كتفاه إلى الوراء ليبرز كرشه المتنامي والمختبئ في الجلباب الفضفاض، ابتلع قبضة من هواء الغرفة الضيقة ثم أخرجها ساخنة.

- ذكور طبعاً؟!

صمتت، صمت جهازها الصغير ورداؤها الأبيض، لحظات مرت وهي تراجع بعض الصور للخطوط الدائرية وقد لفظها رحم الصندوق الآلي ذو الشاشة الرابض بجانب السرير.

- ماذا يا دكتورة؟!

- سيدي، أظن أن طفلتيك سترثان جمال والدتهما الحلوة!

انعقد حاجباه فجأة وهبط صدره المفتخر بالذكورة، وكما ظهر.. اختفى.

مسحت المادة اللزجة عن بطني وأنا أشعر بسعادة لا أفهم سرها، سيكون لي طفلتان، طفلة وطفلة أخرى وأنا أم لكلتيهما.. جميل.. هذا جميل جداً.

جلست الطبيبة وراء المكتب، وأمسكت بالقلم لتكتب بالإنجليزية بعض الجمل، نظرت خلسة إلى كلماتها فلم أجد كلمة «my».

رفعت رأسها ناحيتي بشيء من الدهشة.

- عمرك ست عشرة سنة؟!

- الشهر القادم أكمل ست عشرة سنة وأصير ابنة سبع عشرة.

ألقت الطبيبة بدهشتها على الورق المسطور، ورأيت شيئاً يلمع تحت نظارتها الطبية، ورأيتها تمسح تحت أنفها بمنديل.

عاودت النظر إلى هذا البروز الخارج من جسدي والذي يحوي طفلتين ستقولان لي «ماما» كما كانت تفعل عروستي الحلوة «نانا» تلك العروس الشقراء التي جاءت لي بها جدتي في آخر زيارتها لبيتنا، ثم توقفت جدتي عن المجيء، كانت في زيارتها الأخيرة كثيرة السعال، وتمسك في يدها عصا غليظة تتوكأ عليها، وفي اليد الأخرى تلهو مسبحتها ذات الخرزات المضيئة ليلاً، أهدتني العروس الشقراء وأطلقت عليها اسم «نانا»، «نانا» لهذا زرار، خفي تحت الثياب، عند الضغط على ذلك الزرار تنطلق كلمة «ماما» ثم توقفت «نانا» عن نطق كلمة «ماما» كما توقفت جدتي عن زيارتنا، كنت أشتاق لصوت «نانا» كما أشتاق لوجه جدتي العجوز، وكلما زاد بي الشوق أخرجت العروس الشقراء من مخبئها، سرحت خصلاتها الحريرية، وأعدت ربط الشريط الأحمر على ضفائرها، أدللها حتى تنام ثم أعيدها إلى المكان الدافئ، شاهدتني أمي مرة أفعل تلك الفعلة، فاختطفت «نانا» من يدي وفصلت رأسها الأشقر عن جسدها الهزيل ثم ألقت بها في سلة المهملات وقالت:

- كيف لعروس مثلك تصبح غداً زوجة لأهم رجالات المدينة أن تلهو بلعبة كهذه؟!

أدركت عندها لماذا توقفت جدتي عن المجيء، لقد ماتت ذلك اليوم، يوم فُصل رأس «نانا» عن جسدها وصارت خصلاتها المنسابة كالنار الغاضبة، غضبت لموت جدتي ولتخلي جسد «نانا» عن رأسها الصغير بهذه السهولة، ثم جاء ذلك الرجل الذي يكثر من شرب السائل الأصفر وغير اسمي من مي إلى my.

في الطريق إلى البيت، كانت أوراق الأشجار تهتز في دلال.. تهنئني بطفلتين تنحشران بداخلي، استقبلت التهاني بابتسامة ثم بضحكة مسموعة لابد أن الخادمة التقطتها لأنني رأيتها تبتسم هي الأخرى لا لسبب ولكن لأن «المدام» تبتسم وتضحك.

أمرت السائق بتشغيل المذياع للتلاهي وللتمويه على أمر الابتسامة غير المسببة، ورغم أن موعد الحكاية اليومية «لأبلة نجوى» قد فات إلا أن أغنيات حلوة تأتي عادة في هذا التوقيت، وربما يخرج محمد ضياء الدين ليقنع ابنته بعدم جدوى البكاء عندما تتفرقع «البلونة» أو يأتي محمد فوزي ليغني لأطفاله «ذهب الليل» في الحالتين ستسعد طفلتاي بالأغاني، لابد ستحب ابنتاي محمد ضياء الدين ومحمد فوزي، سأعلمهما كيف تستمعان للأغاني الحلوة وتحبانها وسأسمح لهما باللعب

طوال الوقت سأشتري لهما «نانات» كثيرة وسأكتفي «أنا بالناناتين» نا... ونا... ناهد ونادية، نعم الأولى السمراء ذات الشعر الأسود الغليظ والعين العسلية الواسعة والفم المدكوك «ناهد»، والثانية ذات البشرة المغتسلة بخيوط الفجر والشعر المائل للإصفرار والعين الشفافة «نادية» أحسست بسعادة عندما توصلت إلى أسماء الطفلتين المحشورتين في مكان ما بداخلي، أحسست بالفرح كشربة ماء بارد في يوم قائظ تشق صدري بحنان ثم تسري إلى حيث تسكن الطفلتان لتحمل البشرى، انبعج شكل بطني المستدير فجأة، مرة لليمين ومرة أخرى للشمال، ترجمت الانبعاج بصراع الطفلتين، من تكون ناهد السمراء، ومن تصير نادية الشقراء، ضحكت بصوت عال هذه المرة، أيقظتني التفاتة الخادمة التي فشلت في الاستمرار في الضحك، فرجعت أرسم وجه «المدام» على محياي وأعطي للمذياع أذني:

– مات شاعر العشق والقلم.. رحل فارس الكلمة الذي لا يشق له غبار.. رحل عنا نزار قباني شاعر الحب والثورة والغضب، من اقتحم مخادع النساء وتحدث عن العطور ومشابك الشعر والوسائد الحريرية... من غنى للنساء حتى صار شيخاً من شيوخ الطرق الصوفية، وصار قلبه ملجأ لطالبات العشق والحياة والحرية، من جعل مساحة الحرية تتسع لتُعبِّر النساء من خلالها عن قرارهن.. عن قدرتهن.. عن حريتهن.. من قال على لسان إمرأة:

أنا أنثى...... أنا أنثى.

نهار أتيت للدنيا

وجدت قرار إعدامي

ولم أر باب محكمتي

ولم أر وجه حكامي

أبي رجل أناني

مريض في محبته

مريض في تعصبه

مريض في تعنته

يثور إذا رأى صدري تمادى في استدارته

يثور إذا رأى رجلاً.. يُقرب من حديقته

أبي لن يمنع التفاح من إكمال دورته

سيأتي ألف عصفور ويقطف من حديقته

غريبة، هل كان نزار قباني هذا يعرف أبي؟! أم تراه كان يعرف الرجل الذي يسمني my؟ وإذا كان شاعراً كبيراً كما يقول رجل المذياع فلماذا لم ندرس في المدرسة شيئاً من أشعاره مثل المتنبي وأبي فراس الحمداني؟!

تراءى لي بيتي ذو الطوابق الثلاثة بحديقته الواسعة

كعمـلاق قـابع فـي نهاية الشـارع، وهـا هـي شـرفتي الـتـي لم ولـن أطل منها يوماً ماتزال أضواؤها مشتعلة رغم أن نور النهار يملأ الكون.

أخيراً، وصلت السيارة إلى مكانها في مدخل الڤيلا، وشيئاً ما - ربما أصابع نزار - يعبث بين خصلات شعري، فتح لي السائق المهذب باب السيارة وساعدتني الخادمة الصامتة في النزول بصحبة ناهد ونادية، دون أن أدري حانت مني التفافة نحو مكان سيارته «الشبح» فلم أجدها، لابد أنه ذهب لزوجته الأولى التي سبقتني إليه بعامين والتي وضعت له بالأمس مولوداً ذكراً، حين نجحت في الخروج من السيارة شعرت بمشبك الشعر يسقط أرضاً، وحين ترجلت الدرجات الثلاث الأولى.. أحسست بخصلات شعري الطويل تلامس ظهري وتطل من تحت أطراف الخمار فلم أعبأ وواصلت - بثقل - الصعود إلى غرفتي الواسعة، لأسقط العباءة والخمار والمشابك المتبقية ثم توجهت إلى النافذة العريضة المكسوة دوماً بالستار الداكن، أزحت تلك الستائر القاسية، ونظرت إلى الحديقة وأنا أحتضن الطفلتين، بكلتا يدي، كان هناك ألف عصفور ينقر شجرة التفاح.

❖ ❖ ❖

العيد(*)

فتحت عيني مبكرة عن عادتي اليومية، خيوط الشمس لم تصل إلى غرفتي بعد، لا صياح للديكة، لا رنين لجرس المنبه فقط توقيتي الذاتي، في مثل هذا اليوم، يجب أن أستيقظ مبكرة.. ظللت أتأمل جدران الغرفة.. وكأنني أراها لأول مرة.. توقعت أن أسمع تكبيرات المصلين من الجامع.. وأن أشم رائحة الطعام المجهز لهذا اليوم.. لا شيء من ذلك.. ترى لماذا؟

ورقة التقويم تقول إنه اليوم.. يوم العيد.. نعم.. ورقة التقويم فقط تقول ذلك.. ليس البشر.. ليست الشوارع.. ليست خيوط الشمس الباردة التي تصل إلى هنا.. ليست أوراق الأشجار المتراقصة مع النسيم.

بعد طول تأمل في جدران الغرفة المحيطة بي.. عرفتها.. إنها مكان إقامتي المؤقتة في مونبلييه في الجنوب الفرنسي.. حيث جئت باحثة عن علم نافع أعود به إلى وطني بكل فخر واعتزاز.. لكنه يوم العيد!!

نهضت أستقبل عيدي الفرنسي الأول.. خرجت إلى

(*) من مجموعة المُكْحلة.

الشرفة المطلة على المدينة.. في بطء شديد اتسعت دائرة الضوء على الطرقات.. لا شيء مميز.. كل شيء كعادته كل يوم.. الوجوه.. الأبعاد.. الاتجاهات.. أين العيد إذاً؟؟..

أبي، أين عباءتك التي كنت أختبئ تحتها أنا وإخوتي ونحن صغار في مثل هذا اليوم؟ لا أجد اليوم ما أختبئ تحته سوى سحابة من دمعات أغالبها، فتغلبني. أمي.. اشتقت لرائحة طعامك المميز للعيد.. رائحته فقط تشعرني بالشبع.. تذكرت شيئاً، أنا لم أفطر حتى الآن.. فلأصنع شيئاً غير عادي.. لن أكتفي اليوم بكوب الشاب باللبن.. أعددت ما يشبه إفطار العيد.. جلست إلى طاولتي الصغيرة أتأمله فقط.

رنين الهاتف يقطع تأملي.. صوت أختي قادم من بعيد يحمل لي تهنئة العيد..

- كل عام وأنت بخير.

- نعم وأنت والجميع بألف خير..

- أنا بخير لا تقلقي.. أبلغي تحياتي لكل من حولك.. إلى اللقاء..

أقفلت الخط سريعاً قبل أن تلاحظ أني أغالب دمعاتي الجريئة..

انتظرت مكالمات أخرى.. توهمت أن العيد لابد أن يزور كل البشر في كل مكان.. يبدو أن أوهامي هذه كانت من صنع

خيـالي.. فلا أحد يشعر بالـعيد هنـا سواي.. نظرت إلـى جدران غرفتي.. سـألتها في صمت: هل تشـعرين بالعيد .. برز منها وجه مندهـش.. لم يجبنـي..! نظرت إلى السـقف.. لم أجد فيـه نجمة واحـدة تبوح لـي بشـيء.. حتـى نـافذتـي.. خـاصـمتهـا الـشـمس.. فانتحت بعيـداً عنها .. حيث يوجد العيـد هنـاك بعيداً .. أفقت من هذا الوهم المحاصر..

إنـه موعـد ذهابي إلى الجـامعـة، فتـحت دولاب مـلابسـي، ماذا ألبس فـي يوم العيد، هذه.. أم هذه.. أم هذه؟! لـقد ارتديت كل هـذه الملابس من قبل.. ألا يحق لي أن ألبس شيئاً جديداً في يوم الـعيـد حتـى ولـو كنـت أنـا وحـدي الـتـي أشـعـر بـه؟! أشـعـر بالحنق.. لم كل هذا؟! لم أنا بعيدة عن الديار.. عن الأهل.. عن العيـد نفسـه.. مـاذا جئت أفعـل في هـذه المدينـة النائيـة عن ذاتي فـي هـذا الـيـوم.. هـل يسـتـحق مـا جـئت لـه فعـلاً مـا أنـا فيـه؟! ياالله!!

صوت أسـتـاذي جـاءنـي مـن مـكـان مـا.. «نـعـم يـسـتـحـق.. ياابنتـي سـوف تأخذين من علمـك هـذا الـكثير.. فـلا تـنـدمـي على طريق المعرفة الذي تسلكين.. لا تـنـدمـي أبـداً»..

واختفى الصوت.. والوجه الذي برز من الجدار فجأة!

خلّف على شـفتي ابتسامة رضى واطـمئنان، لا بأس إذاً.. سـأرتدي أي شيء..

هذه قنينة عطر لم أفتحها قبل الآن.. سـأضع منها بعض القطرات على وجنتي.. هناك على الأقل شيء ما - جديد - يلامس بشرتي في صباح يوم العيد.

حملت حقيبة كتبي وتوجهت إلى الجامعة..!!

❖ ❖ ❖

المُكْحلة(*)

كم أشتاق إلى وجهك يا أمي.. كم أشتاق إلى يدك تمسح دموعي المتدحرجات، كم أشتاق إلى صوتك يوقف تساقط تلك الدمعات، كم أشتاق وجهك ينير لي الدرب، ويضيء خطواتي العشوائية، كم أشتاق إليك تحتوين روحي الهائمة، تضمين صدري إلى صدرك الحنون، وتمنحيني دفئاً لا ينضب.. يا أمي.

المشهد الأخير:

ارتديت المعطف الرمادي الطويل الذي جاءني به من أمريكا تفوح منه رائحة العطر الباريسي - إحدى هداياه الحلوة - نظرت في الساعة الذهبية التي أحضرتها من سويسرا لأحكم ميزان الزمن، وضعت قدمي في الحذاء الأسود ذي الرقبة الطويلة - كان قد أحضر لي من إيطاليا - وأمسكت حقيبة يدي الإنجليزية الفاخرة ولم أنس مظلّة المطر الملونة - تلك التي اقتناها لي عند زيارته لأمستردام. أصبحت كلّي هو، محاطة أنا به دوماً.. لا جديد في الأمر.. سوى أنه هو.. غائب.

*) من مجموعة المُكحلة.

فتحت المظلة الملونة لتحميني من قطرات المطر المنهمرة تخيلت أن فينوس تبكي وحدتي وما عدت أميز دمعاتي من دمعات فينوس، إلا أن دمعاتها المنتشرة لها أصوات، دقات، ضربات قوية أحياناً، ترسم في الشارع المظلم دوائر من الماء تمحو كل آثار لأقدامي وإياه، وكأني ما اختبأت يوماً تحت معطفه ليحميني من المطر، وكأني ما رقصت وإياه يوماً على الأنغام المتصاعدة من المقهى المجاور، وكأننا ما «سبقنا ظلنا» في هذا الشارع الذي ما كان مظلماً، فينوس، أيتها المرأة الحكيمة أمحي آثار الأقدام والرقص والضحكات والظلال لا مكان لها.. مادام غائباً.

قطرات الماء تتساقط من حواف المظلة الهولندية الملونة، كل قطرة بحكاية، أوروبية أو أمريكية أو عربية، قطرات الماء ترسم ملامح وجهه القابع في مخيلتي وتعزف أنغام صوته الساكن في جوانحي، وفينوس محت آثار الأقدام والرقص والضحكات لكنها لم تنجح أن تسقط وجهه من مخيلتي وصوته من جوانحي.. حتى وهو غائب.

قدماي المحبوستان في الحذاء ذي الرقبة الطويلة تخوضان في دوائر الماء المتداخلة لا هدف لها سوى أن تساعد فينوس على التخلص من تلك الآثار القديمة، آثارك يا كل أزماني البعيدة، تحسست السلسلة الذهبية حول رقبتي، شدّدت قبضة أصابعي حول السلسلة، عزفت القطرات لحن صوته

«لا تخلعي هذه السلسلة من عنقك مدى الأيام»، شَدّدت قبضتي أكثر حول السلسلة، وصوت أمي يداخل صوته «لا ترحلي يا ابنتي، لا ترحلي عن الوطن - وإن كان رجلاً أحببته - لن تجدي وطناً دافئاً يحتويك إلا وطنك».

- **هو وطني الصغير يا أمي. وإن كان هذا التراب الطيب وطني الكبير، فهو وطني الصغير، سأرحل فيه يا أمي وعنده سأحط رحالي.**

وتعزف دمعات فينوس سمفونيات بتهوفن وباخ وشوبان، معاً استمعنا إليها على أكبر مسارح أوربا، وأحرص في المساء أن تناجينا أنغام محمد عبدالوهاب وصوت أم كلثوم مع فنجان قهوة عربية أجيد صنعه، رائحة بخور من وطني تتصاعد تملأ منزلي الأنيق لمسات عربية أصيلة، أحافظ عليها، فما ذابت ملامحي.. وما ذابت ملامحه.

يخرج من بين القطرات وجه الشقراء الساحرة وضحكاتها الرنانة، انقطعت السلسلة الذهبية الملتفة حول عنقي.. اختفى وجهه ووجه الشقراء وموسيقى باخ وشوبان ورائحة البخور والعطر الباريسي المتميز.

أشتاق إلى وجه أمي أكثر.

«كل الرجال يخطئون.. لا ينجو أحدهم من النزوات» قالت صديقة، فلم أقتنع.

«ما أنـت لي رجل فحـسـب، أنـت وطـن وأرض وحـيـاة، يا وطنـي الصغيـر، كيف استطاعت الشـقراء أن تسرقـك من بين خصـلات شـعري الأسـود؟ كيف اسـتطـاع لـسـانـها «الأعـوج» أن يـستـأثـر بـك دون أغـانـي الحب الـتـي ألـفـك بـهـا دومـاً؟ كيـف اسـتطـاعـت أن تـسلـب منـك - يا سـيـد الكبريـاء - جدائل الفـرح الـتـي أسـكـنـهـا وواحـات الـدفء الـتـي أسـتـظـل بـهـا مـن لـهـيـب اغترابي؟ كيـف ا ستطاعـت أن تقـتلـع حـروف اسمـي من صقيـع لياليـك بدونـي؟ كيف اسـتطاعـت عيـنـاهـا الزرقـاوان أن تـسرقـا الكحل من عيوني وتلقي بالمكحلة في أعماق النهر البارد؟!

ستعـود يومـاً كما قـالت الـصديقـة؟! عـد، لكنـي - وبـدون المكحـلة القابعة في أعـماق الـنهر البـارد - لـن أسـتطيـع أن أراك كمـا رأيتـك دومـاً، فمـا أنـت لـي رجـل يخـطـئ، لأعـفـو، فوق الخـطأ أنـت، فوق الـزلـل أنـت، فوق الـنـزوات أنت، يـا وطنـي الذي يـزداد صِغراً فلا يقوى على احتوائي، ستعود يوماً؟! عد! بدون المكحلة، لن أراك جيداً، لـن أُجيد الـرقـص تحت الـمطر، لـن أستمـتع معـك بموسيقى باخ وشوبان، لن أُشعل الأخشاب في المدفأة ليلة رأس السـنة، لن أحتمـي بمعطفك فمـا عاد يـصلح للحمـاية، مـا عـدت تصلح للحماية والشقراء تلقي بخصلاتها على كتفـك وبجسدهـا الغــض على صــدرك، تـسـرق منــك خريـطة الـوطـن - أنــا - فـلا تشعر، تسرق منك السلسلة الذهبية الملتفة حول عنقي فلا تدري، ما عدت تصلح للحماية».

المشهد ما بعد الأخير:

«سيدتي، إنه النداء الأخير أو في الحقيقة ما بعد الأخير... حقائبك وصلت مبكرة». دموع فينوس تزداد انهماراً وغزارة، طويت المظلّة الملونة، نفضتها جيداً من القطرات التي تُشكل خطوط وجهك ووجه الشقراء.

- عد بالمظلّة إلى البيت وسلّم هذه الورقة إلى السيد بعد إقلاع الطائرة.

«النداء الأخير مرة أخرى... تعلن شركة الخطوط العربية عن إقلاع رحلتها...، على السادة الركاب التوجه للطائرة».

أشتاق إلى وجهك يا أمي... أشتاق إلى وجهك يا وطني، اغفرا لي فلست فوق الخطأ ولست فوق الزلل، سأعود إليك يا أمي... ولكن بدون المكحلة.

❖ ❖ ❖

بـثـيـنـة العـيـسـى

طالبة في كلية العلوم الإدارية، بجامعة الكويت، عضو في منتدى المبدعين الجدد التابع لرابطة أدباء الكويت.

جون الكويت(✣)

لم يكن الطريق إلى المقهى طويلاً، في هذه البلدة الصغيرة، ليس ثمة طرق طويلة، وليس ثمة أشخاص يبحثون عن أشخاص، أو مقاهٍ، أو حتى حمّام عمومي، هنا.. تقرفصُ الغربة عارية بين عيني الوافدين الجدد، ومؤخراً جداً.. لم يفد إلى البلدة أحد، كانت تغفو في العتمة بصمتها المريب، البعيد عن الجلال.

يصر عليّ حدسي، بأنه في عام 3008 تقريباً، سيأتي إلى هنا وفد من المستكشفين، رجال ونساء شقر، بيض عراة

(✣) جرت أحداث هذه القصة في عام 2028 وكتبت في عام 2003.. إن لم تصدق هذه السطور فقد كذبت عليّ.. عرّافة الكلمات!

غـرل، حامـلـين كاميـرات وأجـهزة كثيرة، وسـيـكون معـهـم مرشـد ثرثار.

- غريب.. أليس كذلك! أن تصدقوا بأن هذا المكان كان مأهولاً ذات يوم.. وعنـدمـا أقـول مـأهـولاً فـأنـا أقصـد حيـاة مـدنيـة متـطورة، مركبات تـنقل ومبان وموانئ، لكن حتى المـدن - في هذا الزمن - معرضة للانقراض!

سيبتسم بزهو، وسط دهشة الوفد المتأمل هذا البراح المترامي من رمل، وبحيرات كالمحابر المقلوبة، ورائحة خواء ومرض، سيطرحون أسئلة كثيرة، فالموضوع شائق، والموضوع شائك، والمواضيع الشائقة/ الشائكة كلها شيقة: هل كان وباءً.. أم حرباً..؟! أم الاثنين؟ وهل للبترول علاقة في الهجرات؟ هل مازالت هناك سلالات حية لأهالي البلدة في مناطق أخرى؟

وستكون ثمة جماجم وعظام ترقد تحت أقدامهم بمئات الأمتار، تسمع ما يقال وتضحك:

- ما يقوله صحيح.. نحن مثال حي، أو مثال ميت.. المهم أننا شهود عيان/ أيام كان لنا عيون! صدقوا هذا الرجل! لم نكن أصحاب حضارة، ولا حتى أصحاب قضية، كنا ثرثارين وأغنياء..

سيبدأ وفد المستكشفين في دراسة معالم الحياة المنصرمة في هذه البقعة النائية، منذ ألف عام، سيقيمون محميات طبيعية للضب المعرض للانقراض، ويربون البقية الصفراء

المريضة من الأثل في أصص أزهـارهم، يتباهون بها بين الناس في أوطـان لا تشـبه هذا المكان، أفكر بذلـك المشهد وكأنـني أراه أمامي، أكاد أرى نوع أحذيتهم وألوان قمصانهم، كل هذا معقول، ولا أرى مـا يمـنع حـدوثه، طـالمـا أن الحياة هـنـا عـملية انقـراض متـأنية، لازال لدينا نسـاء. سنحـتاجهن للتكـاثر أكثر منه للحب، ومـازال لدينا مقاهٍ، وحفنـة حالمين، الحلم ذاته الـذي يصنـع مـن هذي القفار فردوساً يمكن أن يجعل منها سفيرة لجهنم، لا أحد يجزم بأن علـى الأحـلام أن تكون جميلـة، لـكننا متـفقون علـى الأقل على وجوب كونها.. قابلة للتحقق.

يتحـدثون عن إعـادة إعـمار، المرة الـثانيـة الـتي يشيـع فـيهـا هذا المصطلح في تاريخ المدينـة التي شهدت حربين بفارق ثلاث عشرة سنة، أنا عشت الثانية فقط، وأظنها تكفيني، ربما بدرجة تجعلني أشـعر بعبثيـة نضـال هؤلاء المدّعين الداعين.. إلـى وطنٍ آخر.

الأفضل أن نهرب مـن هنـا، لكنـنا نبـقى بحـكم أنـنا – لكـثرة تكالـب الشعوب علـى هذه الأرض في السنوات الأخيرة – فـقدنا عشـق السـفر والاكتـشاف، أو ربما، لـغزارة الحكايا الـتي تـواترت علـى أسماعنـا، أكثر مما يستوعب الخيال، وأبعـد مما يسـتوعب الخيال، لـم يعد ثمة ما يحفزنا لطـرح الأسئلة، هنا يوجد الموت، السـؤال الأعظم، لـغزٌ جذاب بمـا يكفـي لكي يجعل خيار الهجرة مستبعداً..

جرائد كثيرة، بأربع لغات.. أتساءل كيف يتقنها جون، ومتى تعلمها! بل أتساءل من أين لرجل عربي، بشعر أسود وعينان بنيتان وبشرة قمحية وأنفٍ أفطسٍ، أن يحمل اسم جون، هذا الأربعيني كان نطفة المصاهرة بين الدماء السوداء والحرب قبل أن يكتشف الوقود الهيدروجيني، شيءٌ واحد أعرفه: أن هذا الرجل الذي يجيد الإنجليزية والفرنسية والهندية والفارسية ويقرأ بعربية كسيحة، هو ثمرة ما حدث، ولأنه مجرد ثمرة، فهو يبحث عن أرض لا يتكاثر فيها الموت بهذه الحيوية.

أصنع من الجريدة صاروخاً ورقياً، أرمي به وسط حشد السأم المتجمهر تحت سقفٍ دخاني، الأرجيلة لم تنقرض بعد، ولا أم كلثوم.

ينهرني، واضحٌ أنني أعطل مشاريع النجاة التي أعدّها، وأنا لا أفهم.. كيف لآدمي.. أن يُقبل على الحياة بهذا الحماس بعد كل ما عرفه عنها!

- وهل هناك خيارٌ آخر؟!

يسأل.. هذه المرة بالفارسية التي يقرأ جريدتها..

- لن أهاجر من هنا..

- وحدهم الأموات يحبون المقابر..

- أنا لا أفتعل الحياة مثل الآخرين..

- إن كان لابد من الموت، فليكن سريعاً ومفاجئاً، كالموت بشظية حرب! هذا الانقراض البطيء لا يروقني..

- وأين تنوي أن تذهب؟ إلى بومباي.. لتعمل في كنس الشوارع؟!

ينظر إليّ نظرة فارغة، يعود للتحديق في الورقة، هذا الباحث عن عمل، ربما عن بطاقة سفر، ربما عن صورة شخصية لمثلة مقبورة، ربما.. ربما عن لا شيء، هو يبحث فقط لأن البحث يلهيه عن حزنه، لأن الانتظار حالة تدل على الحياة بشكل أو بآخر، يبحث عن مخرج طوارئ خارج مدينةٍ تحولت إلى محمية موتٍ طبيعية.

الدماء السوداء ما عادت تجدي بعد أن اكتشف الأمريكان لعنة الوقود الهيدروجيني، كسدت الأسواق المعتمة، طفحت بحيرات النفط بترف، ونفقت محفظة الوطن بالإفلاس، غادرتنا الحشود الوافدة بعد أن سلمتنا لحربٍ جائعة..

والآن، يريد هذا العربي الذي يحمل اسماً أمريكياً (أقسم بأنه يجهل معناه!) أن يسافر ليعيش، سيتكئ على اسمه لكي يلتصق بحضارة لم نبلغها يوماً، بملامحه البدوية واسمه المضحك، وعندما تسأله امرأة عن اسمه سيعبئ صدره بالغرور، بالدخان.. ويجيب:

- جدي التاسع عشر كان غواصاً على اللؤلؤ، وكان البحث عن اللؤلؤ يتم فيما نسميه (جون الكويت)، فسمّيت على هذا الجون، وهذا يعني أنني.. البحر المليء باللآلئ! هاه! هاه!

شقت الصدر.. ضحكة بلهاء، لازلت أكثر جبناً من هذا (المتأمرك) لاقتراف حماقةٍ اسمها الحياة، سأقرأ بين عينيّ كل

شخص يمر أمامـي، سواءً كانت عيناه خضراوان ناعستان.. أو سوداوان ضيقتان، وجهاً يمد لسانه بخمسة.. ساخراً من تاريخي، لا شيء مثل حمل هوية أقسم العالم كله أنها عار، لكن بالنسبة له، اسمه يقدم له العون ليجنبه خزي التاريخ، سواءً تأمرك.. أو استعرب!

يعي جون بأن الحياة انتحار، يبحث فقط عن مدينة ترحب بالجياع الذين يغسلون الصحون في المقاهي طوال الليل مقابل ما يسد رمقهم، ويصلي في الليل لكي لا يخترع الأمريكان جهازاً لغسل الصحون، لكنه سيفتقد صوت أم كلثوم.

- الحياة انتهت في هذا المكان.. حتى الكهرباء تقلصت ساعات عملها، البحر يتجشأ سمومنا.. لابد من الهجرة، حتى العفاريت تخاف من الموت..

- ستعود الحياة ببطء طالما هناك نساء..

- يالسعة أفقك!

يضحك، ينفث السيجارة في وجهي، ألمح لوهلة في عينيه.. وميضاً شيطانياً، يسير الرجل وخلفه أربع نساء، جثون عند ركبته وبكين:

- تزوجنا أرجوك، أطفالنا جياع!

ينظر إلى الأولى بشفقة، ويبعث بالأخرى إلى صديقه المقرب كهدية، هكذا أصبح الوضع، وربما قريباً جداً وتحت

مظلة إعادة الإعمار ستصدر فتوى بجواز الزواج من ست نساء، ثمان نساء، تسع نساء!!

– النساء يطلبن الكثير..

– ليس بالنسبة لإمرأة شهدت حرباً..

– آه.. أنت لا تفهم! النساء يشبهن المدن التي ينشأن فيها.. النساء هنا تشرين الحرب تماماً، لذا فهنّ أكثر شراهة!

أسرح بعينيّ بعيداً، أكره المدّعين.. الذين يظنون يقيناً بأنهم يعرفون كل شيء، ويتحدثون بلسان كل الأشياء، ليس ثمة رجل قادر على تفسير إمرأة، لم يخلق هذا الرجل بعد، وعندما تحدث هذه المعجزة سيتوقف الرجال عن الانجذاب للنساء.. وستضمر الخليقة!

يلكزني بذراعه:

– هل هي جميلة؟!

– تشبه الحرب!

– أووه.. فاتنة لهذا الحد؟!

– اهتم بشؤونك!

يضحك، والدخان في الخلاء.. عمامة مغرورة..

– الحب والموت لا يجتمعان!

– الحب غيبوبة مبدئية للموت..

- في المكان الخطأ..

- والزمن الخطأ..

يبدو أنني نجحت في جرف هذا المتأمرك إلى بؤرة يأسي، سحابة قنوط كانت تظلل صمتنا، وطللٌ من نعاس، وجدت نفسي أرمقه بإمعان.. عينيه الباحثين في السماء عن وهم الزرقة، مازال يملك القدرة على البحث، والانتظار.. هذا الرجل مازال حياً..

- متى ستسافر؟!

نظر إليّ وابتسمنا، الشياطين في عينيه تشتم الغربة..

..

2003/3/14

❖ ❖ ❖

محمد النجيمي

قاص من السعودية، صدرت له مجموعة قصصية بعنوان: أحلام مسكونة بالموت 2005، كما نشرت له قصص أخرى في الصحافة المحلية.

لم يطرقها فحل

1

قال لي الرفاق: «يجب أن تكون الأضحية أنثى، لحمها طري ومذاقها مختلف، وتخير لنا جذعة لم يطرقها فحل».

2

عندما ولجت المطبخ، وجدت رجلاً مهيباً يجلس على كرسي خشبي، وأمامه طاولة حديدية قديمة. كان ملتحياً وبيده مسبحة، ونظراته صارمة. بادرته بالسلام ورد التحية مشيحاً بوجهه عني ومشيراً بيده للبعيد ومتمتماً: «شوف الولد اللي واقف هناك بآخر الصالة». توجهت له فوراً، وأخبرته عن

مـا أفـكر بـه، وذكرت لـه أوصاف الأضحيـة التي أحلم بامتلاكها، تبسم لي وطلب مني مرافقته للداخل.

3

بعد أن وصلنـا هنـاك، أشـار مرافقـي لثلاثة أبواب، معلق على كل واحد منها ورقة مطبوعة، مكتوب فيها وبخط واضح ما يشـي بما يوجد خلف تلك الأبواب المغلقة. بالنسبة لي كان تركيزي على القسم الثالث، فأنا لا أبحث عن ذبيحة للثلاجة حتى أحصل على واحدة صغيرة، ولم أكن أفكر عملياً كما يفعل بعض المدبرين حين يختارون مسنة للضيوف، تملأ الصحن وتستعصي على من أراد أن ينال من لحمها، كل ما كان يشغلني هو الحصول على أضحية تتفق والشروط الشرعية، وتنسجم مع شرط الرفاق، فلم يكن يدر بخلدي أن أهدي منها شيئاً.

4

لفت نظري في وسط ذلك (الحوش) الواسع، أنثى قسيمة، ريانة، لا تميل إلى السمنة المفرطة، عندما عسست بيدي مؤخرتها كانت تشي بالشحم، وكانت بشرتها الطرية وملمسها الرقيق هما ما تخيلت، ويداها وفخذاها مكتنزة باللحم، ولم أكن في حاجة لدليل آخر، على أن هذه الجذعة هي المطلوبة، الأضحية المناسبة، والوليمة المنتظرة.

قلت لمرافقي: «أعتقد أنـي وجدت مرادي، ولـم يبق غير أن نتفق على السعر».

- (شوف الوالد)، نحن لا نقطع أمراً دونه.

- كم ثمنها على وجه التقريب.

- هذه لـم يطرقها فحل. ولم يفسدهـا جماع، ومثلها ثمنه غال، ولو أردت مسنة لحصلت عليها بالسعر الذي تريد، فذوات الأسنان ذوات لحم قاس ومذاق مر، وهذا لا ينطبق أبداً على تلك التي عاينتها قبل قليل.

5

كنت أغادر المطبخ وهي بيدي، لم أكن بحاجة لربطها، جعلتها بجواري، مستمتعاً بمظهرها الفاتن وملامحها الآسرة، منتشياً بملامستي لكل منطقة طرية في ذلك الجسد الغض، سعيداً بقربه حتى أني سألت نفسي متعجباً عن تلك الفحول الغبية التي لا تعرف ما يصلح من الإناث للوطء!

كنت سعيداً وحزيناً في نفس الوقت، هذا التجاذب بين مشاعري في تلك اللحظة كاد أن يدفعني لإعادتها واستبدالها بأخرى أكبر منها سناً. لم يمنعني إلا خوفي من أن يكتشف الرفاق ذلك، فهي على العموم كانت «أنثى الأضحية»، تلك الأنثى التي لا تصلح إلا لطقس «الذبح».

كانت صامتة كصخرة جامدة، ملامحها كانت لا تعبر عن أي شيء، سوى ضوء خافت، نور باهت على وشك أن ينطفئ.

6

عندما كنت أهم بوضع رأسي على وسادتي في تلك الليلة، لم يستطع مذاقها الحلو أن يغادر فمي، كانت لذيذة بشكل يصعب وصفه. انتشى الجميع بتلك الوليمة الفاخرة، حققنا الطقس كاملاً، التزمنا بشروطه، ولم نرم منها إلا قلبها وذلك الرأس، فرأس الذبيحة لا يروق لكثيرين ويجدونه منغصاً للذة وعسيراً على الهضم.

لازلت رغم ذلك أتعجب من استسلامها لنا، مع أنا كنا اثنين عند تنفيذ عملية الذبح – أحدنا وضع قدمه على يديها وشدها بشعرها لتهيئة الرقبة للسكين، والآخر ثبت قدميها – إلا أنها لم تتحرك البتة، لم تقاوم ولم تصدر صوتاً، كانت تنظر للبعيد وابتسامة ذابلة ترتسم على شفتيها، كانت مستعدة أكثر منا للطقس، راغبة في الخلاص، ومشبعة مثلنا بالنبوءة القديمة.

7

جرى كل شيء كما اشتهى الرفاق، كانت الأضحية أنثى كما هي العادة، لحمها طري ومذاقها مختلف، وكانت جذعة لم يطرقها فحل.

سعاد
آل الخليفة

قاصة وكاتبة وصحفية من البحرين، صدرت لها مجموعتان قصصيتان هما: المقهى الرمادي، البحرين 1999، الغرفة المغلقة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر 2001.

حادث على الطريق

الطريق إلى الوزارة والطريق إلى المنزل يشبهان بعضهما رغم أنهما متعاكسان.. لكنهما يختلفان بالنسبة لي في أني كل يوم ومنذ أن أخرج من المنزل في السادسة والنصف صباحاً أتخيل أني سأعود في الثانية بعد الظهر إلى ذات الزوجة.. وأنها ستتلقاني بنظراتها الراثية المشفقة وكأنها تنظر إلى شيخ مسن أكبر منها بعشرين سنة.. تزوجنا في الثامنة عشر من العمر، لم تكن أكبر مني ولم أكن أكبر منها.. تربيت معها في ذات الحي.. أعرف تاريخها وتاريخ أسرتها.. اخترتها من بين العشرات من اللاتي خطرن في مخيلتي عندما كنت مراهقاً متلهفاً على الزواج.. لكنها اليوم تبدو في عيني أكبر مني

بسنين.. يا الله.. هل يطول عمر الرجال ويقصر عمر النساء؟!.. لقد رأيتها البارحة تجفف شعرها فهالني مفرقها.. خف شعرها الغليظ الناعم وازداد بياضاً.. تحاول المسكينة أن تخفي ذلك بالأصباغ أو الحناء لكن دون فائدة.. هناك أيام تنسى ذلك، وما إن تقترب مني حتى أحس بأني أحد أبنائها.. أعوذ بالله.. ما هو حساب السنين في عمر النساء.. هل يكبرن بسرعة أم ماذا؟!.. الشمس حارقة والحر شديد في هذا اليوم وقد تأخرت.. متى أصل إلى سيارتي.. لقد ركنتها بعيداً عن المنزل، والحي الصغير لا يتسع لكل هذه السيارات التي تتمدد طوال الليل كالحيوانات الخرافية..

آه.. سيارتي كالحة كزوجتي.. إنها أصغر منها بسنة واحدة فقط.. اشتريتها بعد ولادة «عائشة» بشهور.. لازلت أرى فيها سيارة صالحة للسير في الشوارع رغم مرور عشر سنوات.. «علي» و«أحمد» يكبران بسرعة.. و«عائشة» و«منيرة» تكبران بسرعة أكثر.. أما أمهم فقد أصبحت حياتي معها صعبة ومملة..

آه.. أخيراً وصلت إلى السيارة.. الطلّ يبللها.. لونها أبيض رغم أنها رمادية.. هكذا السيارات دائماً.. حتى النساء يتحولن جميعاً إلى البياض.. لقد كانت تحاول دائماً ألا تريني شعيراتها البيضاء بعد أن عرفت أني أمتعض منها.. لكن ماذا تفعل.. الزمن يحفر لنفسه الطريق حتى في الصخر فكيف في شَعر النساء؟!.. وكل شيء يسير في اتجاه هذا الزمن.. ما أضعفني

أمام تلك التجاعيد التي أراها يومياً أسفل جفنيها.. أليس من الغريب أني لا أشعر بتقدم العمر الذي أشعر به في زوجتي!!.. ليست التجاعيد فقط بل الحياة المملة والرتيبة.. والنكد اليومي.. بريق المرأة.. أنوثتها.. حنانها نحو الرجل لا نحو الأبناء وأبو الأبناء.. أنا اليوم لا أحتاج إلى حنان من زوجة تعاملني وكأني أحد أبنائها أو كأني أب لها.. آه.. أستغفر الله العظيم.. ليست هذه رجولتي ولا شهامتي التي عرفتني بها.. هاأنذا حين أتطلّع في المرآة كل يوم لأعود إلى الوراء بسيارتي لأخرجها من هذا الزقاق لا أرى شعرة واحدة بيضاء.. لاتزال بي نضارة من شباب وقلبي يرجف بالحب.. قبل يومين انتهيت إلى قرار أكيد لا أدري إن كانت زوجتي قد فهمت بوضوح ما كنت أعنيه لها أم لا..

«- اسمعيني جيداً لقد حاولت إفهامكِ بأني مللت الحياة معكِ لكنك تزدادين خمولاً وتتعمدين استفزازي بنمط حياتك.. أخرُج من المنزل وأنتِ نائمة وأعود وأنتِ نائمة.. أخبريني في أي ساعة أعود وأجدكِ كما أنتِ عندما تزوجتكِ قبل عشر سنين.. لماذا تغيرتِ على هذا النحو؟.. لماذا لم يعد شعرك هو شعرك ووجهك هو وجهك.. وابتسامتكِ هي ابتسامتكِ ورقتك هي رقتك؟.. تدّعين بأني أحب المظاهر، أية مظاهر أحبها؟.. أنا أحب أن أعيش معكِ كما كنتِ في أيامنا الأولى.. لا أحب أن أعيش مع إمرأة تركض نحو الشيخوخة وكأنها تتمنى الحياة الأخرى..

- استغفر ربك يا رجل إنني أحاول جاهدة أن أكون لك كما تشتهي لكنك لا تقدّر معنى المسؤولية التي أعيشها مع أربعة أطفال في أعمار متقاربة.. لا تقدّر معاناتي مع متطلبات البيت.. أنت تفكر في رغباتك فقط..

- ماذا تعنين بهذا الكلام؟.. هل أنا مقصّر في واجباتي؟.. ألا ترين بأني أطحن الصخر من أجلك ومن أجل الحياة في هذا البيت؟.. والنتيجة لا شيء.. لا شيء.. لا أستمتع بالحياة مع زوجة.. لكن الغلطة ليست غلطتك.. بل هي غلطتي حين تزوجتكِ..

- هل كان زواجك مني غلطة؟؟

- نعم غلطة كبيرة لن أغفرها لنفسي.. كان ينبغي أن أتزوج....

- تتزوج؟.. تتزوج ماذا... أكمل.

- طبعاً سأكمل.. سأتزوج.. لقد قررت أن أتزوج ثانية..

- تتزوج.. لا أظنك تعني ما تقول»..

لماذا كانت تنظر إلى كلامي بعدم الجدية.. هل كنتُ أبدو غير جاد في قراري أم أنها تشك في رجولتي وقراراتي.. ليس مهماً الآن ماذا كانت تعني، عليها أن تواجه الصدمة بمفردها.. اليوم سأحدث «فاطمة» عن الزواج.. لقد عرفت هذه الفتاة معرفة جيدة وأحببتها.. تعمل معي في نفس الدائرة، وهي

أصغر مني بثلاث عشرة سنة.. فارق كبير يجعلني بالفعل أمام زوجة لن تتغير أمامي ولن يحترق بريقها بتعب الحياة.. لا نريد أولاداً أكثر مما لدي.. سأستمتع بالحياة معها.. ولن أطلق أم أولادي.. أحبها وأحب أولادها لكني أريد الحياة مع زوجة جديدة.. مع حياة جديدة.. أنا اليوم أكثر شباباً من الأمس.

- «أرجوكِ يا فاطمة لا تنظري إليّ بوصفي مسؤولاً، ورئيس شعبة.. أرجو أن تعتبريني قريباً منكِ.. حدثيني بدون كلمة أستاذ فلان.. أنا معجب بكِ كثيراً ولا يخجلني أن أقول لكِ بأني حلمتُ بكِ منذ يومين..

- حلمت.. خيراً

- مؤكد أنه خير.. الحلم بواحدة مثلكِ يا فاطمة خير وألف خير..

- دع عنك هذا الكلام الآن، قد يسمعونك فيكون الكلام والإشاعات.

- ليقولوا ما يقولوا.. لديّ كلام كثير أريد أن أقوله لكِ.. غداً سأحدثكِ في موضوع هام وخاص بكِ أنت فقط.. هل سمعتِ....».

اليوم لابد أن أفتح معها موضوع الزواج، مؤكداً أنها لن ترفضني ولن تتحفظ على كوني متزوج ولديّ أولاد.. هناك كثيرون يعيشون ذات الظروف التي أعيشها ويتزوجون ويمضي

بهم الزمن.. مـا أروع هذا الصباح.. أن يفكر الإنـسان في الوقت وفيما يتخذ من قرارات جديدة خاصة بحياته هذا في حد ذاته يعطي معنى جديداً للحياة وللزمن.. هكذا ينبغي أن أطيل في عمري.. لابد أن أفكر في الحياة الجديدة.. أكثر ما يستفزني في الطريق إلي الوزارة مشهد السيارات التي يقودها رجال تجلس إلى جانبهم زوجاتهم.. كم أتمنى أن أكون من عداد هؤلاء.. المرأة حين تجلس بالقرب من زوجها الذي تحبه.. هذا ما أفتقده فعلاً.. أتمنى أن تركب معي إمرأة بكامل نواياها الحسنة وكامل نواياي الحسنة وأوصلها إلى عملها وأعيش ذلك الشعور بالارتباط والحب الذي لا يُفرّط فيه الطريق إلى الوزارة أو الطريق من الوزارة.. كم هي بعيدة عني هذه الزوجة المسكينة.. وما أكثر النساء في هذا الصباح.. إنهن كثيرات.. سياراتهن جميلة، ويقدنها بسرعة وبمهارة.. لا يكترثن بالرجال.. ولا يتطلعن لأحد.. كم مرة قلت لها تعلمي السياقة دون فائدة.. طلبت منها أن تعود إلى عملها الذي تركته منذ أربع سنوات دون فائدة أيضاً، هي هكذا تعود إلى الوراء دائماً.. تركض نحو الشيخوخة وأنا أبحث عنها في الطفولة.. كم كانت جميلة في تلك الأيام.. لقد كان الجميع يتطلع إليها وينتظر منها مجرد إشارة لكنها أحبتني وتعلّقت بي دون الجميع.. تقدم للزواج منها كثيرون.. أغنياء وموسرون ولكنها رضخت لي وحدي وأعلنت لأسرتها بكل جرأة أنها لا تريد الزواج من أحد غيري أنا.. هل يمكن أن أنسى هذا الموقف؟.. مسكينة أتُراها

كانت تصر منذ ذلك الوقت على المضي معي في حياة لم تكن تقدر نهايتها بالشكل الذي أقدره أنا الآن؟!.. أحبتي.. أهدتني شبابها.. منحتني الأبناء.. عائشة.. ما أجملها.. إنها تشبه أمها وتذكرني بأيام الطفولة.. أيامها الأولى التي كنتُ أنظر إليها بمشاعر مختلطة لم أعرف ما إذا كانت حباً أم دهشة أم سحراً.. كان لها سحرها الخاص بالفعل.. خطفت كل شيء بداخلي.. أجبرتني على أن أستسلم لحبها وأفكر وبسرعة في الزواج منها.. أمي تقول:

- «هذي مثل أختك يا يمة..

- لكنها ليست أختي.. هل تريدين أن أتزوج من غريبة لا أعرفها ولا تعرفينها إنها مكتوبة لي.. وأحبها.. وقد رفضت كثيرين من أجلي ولن أجد أوفى منها في حياتي»..

آه.. أيام مضت بعد تلك الأيام المتوترة التي وقفت أمي عقبة أمام زواجنا.. لكن كل شيء كان يمضي حسب ما هو مقدر، حتى أخوها الأكبر لم يستطع أن يفعل شيئاً ضد زواجنا.. كان يريد أن يزوجها من أحد الأغنياء، كان يخطط للثراء على حساب حبها.. مسكينة رفضت ما كان يخطط له ذلك الأخ وواجهت كل الظروف الصعبة من أجل أن تكون لي.. ما بالها الآن تغيرت.. آه لو لم تتغير.. لو لم تفقد ذلك الجمال.. ذلك السحر الذي لا أجده حتى الآن فيما أرى لدى الفتيات.. البيت لا يطاق بما هي عليه من بلاده وعدم اهتمام،

هـل هـو الإنجـاب الـذي غيّرهـا وسـحق اللـحظـات الجميلـة فـي حياتي.. من يدري؟

يقـولون إن الحمل والـولادة لهما تـأثير كبير على الأعـصاب والخلجات والدم وكل أعضاء الجسم.. هل هذا هو ذنبها.. أنها أنجبت لـي الأطفـال؟!.. ما أتعـس مـا أفكر فيـه.. الأطفـال الآن يستولـون علـى كل وقتهـا من أجلي أنـا كي أتفرغ لـلعمل والـرزق والحياة.. تهتم بهم أكثر مما تهتـم بي لأنهم يحتاجون بالفعل إلى مثل هذا الاهتمام أكثر مما أحتاج إليه أنا.. آه ما أتعس ما أفكر فيه.. هل انتهت كل المتع في الحياة مع هـذه الزوجة بالفعل أم هـي أوهام أتوهمـها..! أحـلام جديدة أتطلـع إليها خارج الحيـاة التي قررتها لنفسي ولهذه المرأة التي نذرت نفسها لي ولأولادي منذ أكثر من عشر سنين..

هل هي الرغبة في مجرد إمرأة أخرى؟.. فاطمة تلك.. هل تحقق رغبتـي أم أني أنظر إليها كمن ينظر إلـى سراب؟، لكنني أخبرتها مراراً أن تنتبه لمشاعري ولحاجتي لها.. أحتاج إليها في لحظات دافئة.. وأدخل البيت وأنا في قمة الشـوق إلى أيامها الجميلـة.. وحين أفتِّش عنهـا فـي الغرفة أجدهـا غـارقة في النوم.. هل يعقل أن يأخذ بها تعب البيت إلى هذا الحد.. وحين أقترب منهـا أجدهـا تهذي بأسمـاء الأولاد وكأنها فـي منامها تواصل حنينهـا إليهم.. مـاذا تبقـى لـي إذاً !!؟.. وفـي أي وقت أجدها ملكاً كاملاً لي؟.. كيف لي أن أخرج من هذه التعاسة؟.. الأهل لا يرضون بالتـأكيد أن أتزوج ثانيـة وأحمّل حياتي أعباءً

جـديـدة وأتـرك المـرأة الـوفـيـة والمضـحـيـة فـي مـرارة الـيـأس والإحبـاط.. الأصـدقـاء بـعضـهـم يـقـول إن الـزوجـة بعـد عـشـر سنـوات من الـزواج تـصبـح أمـاً وأختـاً .. وبعـد عشـرين سنـة قـد تصـبـح جـدة.. لـتكـن كل ذلـك.. هـل سـأفـقـد الحـب حـين تكـون الزوجـة أماً؟.. ألا يتضـاعف الحب حينئذ وتصبح إمـرأة البيت في مـرحلة مـن مراحل العمر هـي كل شـيء بـالنسبـة لزوجـها؟!.. أليست هـذه هي فلسفة الحيـاة بين الرجل والمرأة بالفعل؟.. لقد تجاوزت الـسـاعة السابعة الآن ولـم أصل إلى مبنى الـوزارة بعد.. الـزحام شـديـد.. والسيـارات تكتظ أمـام هـذه الإشـارة الـضـوئيـة الـتـي أصل بعـدهـا إلـى المبنـى.. أغلب مـا أرى داخل السيـارات نساء وأطفال.. هـل تغيّر الـعالـم فـي هـذه الـلحـظة بـالذات، أين الآباء عن كل هؤلاء الأطفال.. حتى الآن لم أر رجلاً مع أطفال.. ما بـال عيني لا تقع إلا عـلى الـظلام الخـاص بي.. عـنـدمـا أصل إلـى مـبنـى الـوزارة قـد يتغيـر كل شيء.. ستـبـدأ حياة جـديـدة.. الـغريب أنهـا اليـوم لـم تجلس معـي عـلى الإفـطـار.. لـقد أعـدت الأولاد لـلمدرسـة ثم اختـفت، عـادت إلى غرفـتهـا.. فكّرت فـي أن أعـود إلـيهـا وأنظـر فـي وجـههـا قـبل الخـروج ولـكـنـي خفـت مـن ضعفي وخـرجت.. هاهو وجهها يعود إليّ.. لا أتذكرهـا الآن كما رأيتها البارحـة بكل ما هـي عليه من تعـب وإرهـاق، وإنما أتذكرها منذ تلك الأيام الأولى عـندما كان وجهها يطل منه سـحـر غريب دون مكياج وأصباغ التجميل التي تغطي وجوه بنات هذه الأيام.. أتذكرها بذلك الضوء الغريب.. كيف تناسيت ذلك؟!.. ياالله هل

يُعقـل أن يـكـون لإحـدى الـبـنـات عـلـى هـذه الأرض وجـه مـثـل وجهها؟؟.

إنـني لا ألـتفـت على أي فتـاة إلا وهي مـتخفيـة وراء أصبـاغ الـتجميـل.. إمرأتـي وحـدها لا تفعـل ذلـك.. لم تـدخل صـالونـات التجميل ولم أعوّدها علـى ذلك.. لا تجد من الوقت ما يكفي لأن تجرّب أنـواع الـكريمـات الجـديـدة ومـاركـات العطـور والـرتـوش.. حياتها ليست كذلك بينما أطالب منها ما هو ليس من حياتها.. ما أتعسني إذاً.. أية حماقة كنت سأرتكب وأنا أصعد هذا السلم إلى مكتبي؟.. قبل عشـر سنين كانت تلك المرأة تترك أهلها وكل الـذين تكالـبوا عـلـى الـزواج منهـا مـن أجلـي وتـهـرب مـعـي أمـام حديث النـاس وإشاعاتهم.. نختفي أنا وهي شهراً كاملاً دون أن نسافر.. تتزوجنـي رغماً عن أنف أخيها وأبيها بينما أنا في هذه اللحظات أصعد السلم نحو قرار أحمق.. هل أجرؤ بعد لحظات عـلـى أن أنـظـر فـي وجـه «فـاطـمـة» وأعـرض عـلـيـهـا الـزواج.. مـسـتـحـيـل أن يـحـدث ذلـك.. سـأعـود مـرة ثـانـيـة إلـى الـبـيـت.. سيؤخرني ذلك عن العمل نصف ساعة أو سـاعة أو ساعتين لا يهم.. المهم هـو أن أتطلع من جديد إلى ذلك السحر الخاص في وجـه امـرأتـي.. إنـي عـلـى يقـين بـأنـي مـنـذ الآن لـن أفقـد ذلـك السحر.. لن أفقده أبداً..

المحرق 1966

❖ ❖ ❖

سعد العتيق

من مواليد 1950 (السعودية)، نشر عدداً من القصص في الصحف، مجموعته الأولى تحت الطبع.

المتسوّلون

العجائز الجالسون يستندون ظل الحائط، وسيقانهم ترتشف أشعة الشمس، بعضهم يضحك، وبعضهم فاغرٌ فاه، وهي تمد لي يداً يشع منها الدفء، تتطوَّح منه قنينة بدأت تفقد نعومة ملمسها.. تسألني عيناها عن حاجتي للماء فأدَّعي الارتواء!!

كيف عرفت حاجتي للماء؟ وهل عرفت أن عبثي في جيبي كان بلا جدى؟ أحسبها فهمت لو أن ثوبي خلا من جيبي، لأصبح دالاً عليَّ، وعلى قياسي!!

ألم أكن أبحث عنها؟ أبحث عمَّن أتقاسم معه ولو أقلَّ

الحديث؟ فلماذا تركتها تمضي؟! لماذا بعدما غادرَت، أحسست بفداحة خسارتي، فهِمْت على وجهي أبحث عنها؟!

سألتني الطرقات:

ألم تكن بالمواصفات التي تحلم بها؟... قرصَت الحاجة وجنتيها بالحياء فأزهرتا، وعضَّت البراءة على شفتها السفلية، فأدمتها، وتركت شفتها الأخرى تبتسم.. عن أي أنثى إن لم تكن هي، كنت تبحث وتسأل؟!

أيها المتسول: أين هي الآن بعدما التهمتها المسافات؟!

رفعت للطرقات رأسي أنتصر لهزيمتي:

- ألم تكن تتسوَّل؟!

قهقهت في وجهي ساخرة:

- ومَنْ أنت؟ ألست متسولاً مثلها أيها الأرعن؟

وقفت أمام لوح زجاجي، فإذا بي ألحظ أن ثيابي بين المتسولين كانت أكثر اتساخاً.. وأجزم أن جيوبي أكثر نظافة! وأن حاجتي إليها أكبر من حاجتها إليّ!!

يالغبائي.. أين أجدها الآن؟؟

وسألت الطرقات:

تتسوَّل ماذا؟! أذكر أن ثيابها بيضاء نقية، وأن كفَّيها

منقوشتان بالحناء.. فأي مساعدة كانت تريد؟! لا أحسبها تحتاج المأوى، أو ثمن الخبز!!

ثم عدت لأسأل العجائز، وقد شرعوا في سحب سيقانهم، بعدما تلاشى الظل:

- أنتم أكثر خبرة بها من الطرقات، فقد مرت بكم كثيراً، وربما ألجأتها حرارة الشمس لتأخذ قسطاً من الراحة بجواركم، فما الذي في ظنكم تحتاجه؟ وما الذي تتوقعون أن باستطاعتي تقديمه لها؟

قال أحدهم وهو يضحك:

- أظنها تعبت من المشي لوحدها، وملَّت وهي تستند إلى حائط.

ثم راح يكمل ضحكته.. فعرفت أنه لن يعي ما سأقوله له..

فقلت للفاغرين أفواههم:

- ربما عادت لظل آتٍ.. قولوا لها إنْ هي عادت: لا تمدي يدك إلى مثل هؤلاءٍ، ولا تسأليهم عن حاجتهم للماء.. ليس باستطاعتهم أن يعلنوا عن ظمئهم، أو يعدوك بشيء!!

❖ ❖ ❖

منصور المهوس

(السعودية، بريدة)، 1973م. أصدر روايته الأولى الموسومة بـ (الشمس تنام في الظهيرة) عن دار العبيكان، أصدر مجموعته القصصية الأولى (العنكبوت) عن نادي القصيم الأدبي 1424.

حبل لغسيل النص

إهداء إلى المختلف/ جبير المليحان

شكّلتُه على الورق جزءاً جزءاً، منعطفاً منعطفاً، أنسجة وشرايين وأحاسيس، ثم نثرته على أرضية مكتبي حتى استقام واقفاً يتلو نشيده الجديد، أذنتُ له أن يختار مصيره، مذكراً له بأن نهاية مصيره ستكون في نهاية النص، هزَّ رأسه بحياد وقال: أنت استنبتني لأعيش بلا جذور فماذا تعتقد أن أجترح بعد؟!. ثم أخذ يُحكم الحبل على رقبة مروحة سقف مكتبي، تاركاً طرفه الآخر يتدلى، ثم سحب الكرسي من وراء المكتب وقرَّبه أسفل الحبل. التفت إليَّ: طبعاً لأمارس المغادرة انتحاراً،

لكن ليس الآن، بل في نهاية النص كما اتفقنا؛ حتى أمنحك فكرة متفردة تتوج نصك بوهج جديد. ابتسمت بغيظ مفاجئ لفرط ثقته بأنه هو المسيطر داخل النص، نسي أني أنا الكاتب والراوي العليم بما تقدم من أمره، وما تأخر، وإن تقمَّص ظِل غيمة يُودِّعه غيري، وإن عاد فلن يستقبله سواي!. قلت بنزق: اسكت بس، صحيح أنا استنبتك بلا جذور لكني صنعت لكَ جسداً في عمق روح ينتظرك.

لم يكترث لأمري وقال: أعلم أن هذه المغادرة تجرح كثيرين لم أعتد على جرحهم ولو على حساب مزاجي وظروفي؛ لذا فكرت بأن أستنبت لي أظافر حادة لتقشِّر قناعي عن جلدة وجهي قبل أن يقشِّره مغسِّل الموتى. هززت القلم في وجهه أذكِّره بأني أنا الحاكم بأمر الكلمات هنا وليس هو، وقلت له ساخراً: إن رغبت في المغادرة حقاً فاصطحب معك شيطاني.

قال برجاء: أقترح عليك أن تمنحني مساحة ممتدة في نصك لأوجه رسائل لهؤلاء العزيزين جداً عليَّ:

اكتب لزوجتي وأولادي: عناء وجودكم في حياتي يفوق بهجة حضوركم، فعذراً. واكتب إميلاً لحبيبتي. لكنه توقف ثم سحب الكرسي وأرجعه لمكانه الأول وراء المكتب وجلس عليه. ماذا يفعل هذا المجنون! إنه يفتح إيميلي ويكتب رسالة لحبيبتي: منذ أن نسجني صوتك بحريره ثم باح لي: في قعر المحيط، داخل فقاقيع الرغبة لي جسد لك، كم لي معك غدٍ وأبدٍ. منذ

ذلك وأنا أتهجا النذْر، ولا أتقن سوى إطفاء مصابيحي كل غسق وأتذكرك، لكن غيابك القسري عذبني فسمحت لأخرى بأن تخترقني فاعذريني، ثم ضغط على (Delete) لحذف كل رسائلها. صرخت به: يا غبي ماذا فعلت؟! لابد أن أُلغيك، لابد أن أخرجك من النص فأنت خطرٌ عليّ. ضحك بألم: يا صاحبي صحيح أنت استنبتني في نصك، لكنك علمتني كيف أصنع زجاج ندمي من خيبات رمل الشاطئ.

شهقت: أنت ورطة والله! ثم سحبت ورقة النص أريد تمزيقها، فاستلها مني: خلاص خرج الأمر عن السيطرة، أرجوك دعني أكمل رسائلي. ثم فرد الورقة أمامي وهو يمسح على رأسي برجاء متبتل. (اكتويت بتلميحه بأني أرغب بأن أكون هو ذاته، وليس مجرد كاتب نص مستقل وخالق شخصية). أرجوك أيها الراوي اكتب لهذه الأخيرة: سأخرج منك بالمعروف كما دخلت معك بالمعروف، أنت شهية جداً لكنَّ هذا لا يكفي، كما أن بقائي معك لا يكفيكِ، سنظل أصدقاء نمشي على جداول الطاولات وياسمين الوجع اليانع.

اضطرب حبر قلمي في قصبته وهمست: والله خطير أنت، من أين بزغت عليّ؟!!

واكتب لرئيس تحرير الجريدة التي أتعاون معها: عذراً، فقد أردت بالتواصل معكم استعراض قدراتي الفكرية والإبداعية على مربعات بساط المبدأ والرؤية النضالية الوطنية،

مجـرد حضـور واسـم مـتواجـد فـي المـشهد الـثقافي، ومـآرب أخرى أنت لا تعلمهـا الله يعلمها، ولأنـي استبطـأت الوصـول إلـى ما أريد فقـد تعبـت، وهـا أنـا أغـادر، ملحوظـة: إن أردت نشـر هـذه الرسـالـة فلا أمانـع، لكن لا تُشر إلى تاريخ وصولها إليك.

واكتـب لأمـي وأبـي وهـمـا فـي قـبـريهـمـا بـأن لا يـسـمـعـا أي إشـاعـة عن انتحـاري؛ لأنـي أريد أن أقدم إليهما مجـلـلاً بالبياض، انتظراني وحسب.

واكتب لرذاذ المـطر: إن كنت صادقاً في ولائك فـالموعد ثرى قبري. لم أوص أحداً بوضع علامة على قبري، فهل أنت تفعل؟

(اكـتـب، اكـتـب. غـبـي، يـعـتـقـد بـتـكـرار كـتـابـتـهـا سـأسـمـح لـه بالانتحار في نهاية النص، قلت له إن القلم بيـدي أنا وليس بيـده لـكـنـه مـخـلـوق مـتـمـرد). رفـعـت رأسـي إلـيـه: اسـمـع عـنـدمـا أكـتـب الـنـص سـأعـيـد صـيـاغـة هـذه الـلازمـة المـتـكـررة «اكـتـب، اكـتـب» بطريقة أخرى.

تمـطـى إحـسـاسـه أمـامـي مـتـجـاهـلاً فـكـرتـي وقـال: رغـبـة المغادرة تشعرني بخوف شـاسـع وبؤس فـظيع، رغـبة تجعلني أسـير بـين المـلائـكـة والـشـيـاطـين، أتـلـمَّـس المغفـرة مـن هـؤلاء وأمـد يـدي لـهـؤلاء، وجـروحـي الـقـديـمـة الجـامـحـة تـصـغـي لـلـذات لا تـنـتـهـي «ويحـي أنا الإنـسان الـشقي، من يـنقذنـي من جسد هـذا الموت». تململت: ذكرتني ببعض الـنصوص الـتي تتحدث عن الموت. رفع رأسـه وهـو يـعـيـد الـكـرسـي تحـت الحـبـل: أنـا أفـضـل مـن أبـطـال

بعض النصوص لأنهم لم يستطيعوا أن يتوحدوا جسدياً مع الموت، أما أنا فسأمنحك تميزاً بذهابي إليه بنفسي. قلت له لأريك ثقته: اصمت، أما علمت أن فكرة البحث عن الموت فكرة مكرورة! موضة بين الكتاب والكاتبات تشتعل حيناً وتخبو حيناً آخر، يعني اختيارك لفكرة البحث عن الموت ليست جديدة. حدَّق فيّ: قصدك أن نصوص هؤلاء موضة وليس شعوراً حقيقياً. أنزلت عيني نحو ورقتي وكتبت: (مَنْ يهمه أمري بحق؟؟!!). تحسس الحبل بيده المعروقة نافرة الهواء وأكمل: ظلِّي؟! هو إنسان أيضاً، سينتصب من بعدي ويمشي، ثم يطير، تتبعه أشواك أفكاري وتضاريس ظنوني يحرضها غياب الحبيبة، وهي ربما تخضِّب وحدتها بابتسامة شاردة تجترح لها حاضراً عقيماً، وحزناً لذيذاً. سحبت الحبل من يده ودفعت الكرسي فاستدار دورة كاملة، فدفعني بقوة أوقعتني، هنا شعرت بتمرده الحقيقي عليَّ وأنه سيخرج عن سيطرتي، لاحظ هو تحفزي ونيتي بعمل شيء حاسم فقال وهو يوازن مكان الكرسي أسفل الحبل: إن كنت صادقاً في عدم موافقتك على مغادرتي بهذه الطريقة فلا تحوِّل هذه الحكاية إلى عمل كتابي ثم تنشره هنا أو هناك، لا تصنع منها عاشقة لا تغفو ولا تصحو إلا على رغبة فيك لا تنقطع، واكتف بإيصال رسائلي إلى أصحابها وحسب، اسحب فكرة النشر واسحب فكرة الانتحار، ماذا قلت؟. صمت مذهولاً بقدرته على التحرك، وصلتني من صالة المنزل أصوات لعب ولدي. عندما تأخرت عليه في الجواب حمل جسده فوق

الكرسي ورنا إلى الحبل بابتهال، وهم بإدخال رقبته في دائرة الحبل. أصابتني قشعريرة الموت، تذكرت كم أنا قوي في الظلام ومتخاذل في النور فصرخت وأنا أدفعه من فوق الكرسي: لن أنهي النص أبداً، إن كنت تريد الانتحار فقم به خارج النص.

خرجت من المكتب والخوف يحبس غربان الموت في باحة إحساسي، دافعاً بي لأواصل الصراخ: لن أنهي النص، لن أنهي النص.

صوت اصطدامي بولديٍّ له شروخ في سيراميك الصالة.

12/10/2005م

❖ ❖ ❖

عـقـيـلـة آل حـريـز

(السعودية، المنطقة الشرقية)، كاتبة وأديبة صحفية، نشرت لها مقالات وقصص وخواطر في عدد من المواقع الأدبية والثقافية والمحلية، لها مجموعة قصصية بعنوان (لا تملأ عينيك)، لها مجموعة قصصية أخرى تحت الطبع.

أمنيات حافية

ما أبسط الأحلام حين تكون مجردة من الأمور المعقدة خاصة حين تنفض عنا غبار الأشياء التي تعلق بنا وتعيد مسح نفوسنا بشيء من الراحة تمنحنا إياها للحظات.. هذا أفضل من تسول بعض الأذان التي لا تجيد الاستماع لك.. منذ زمن لم أصنع شيء ما لنفسي.. شيء خاص بي يستهويني ويعبر عن رغبتي الحقيقية.. آكل وأشرب وأتنفس لأعيش وقد أنجز عملاً ما وبشكل جيد يرضي من حولي.. لكني بالرغم من كل ذلك لم أشعر بالمرح ولم أسمع صوت ضحكاتي تفرقع كعادتها في الهواء.. لم أقف بقرب المرآة منذ مدة طويلة لألحظ ما طرأ على شكلي من تغيرات جديدة.. من المدهش حقاً أن نتأمل

أنفسنا وكأننا نتعرف إلى شخص ما مختلف نراه لأول مرة.. أشعر الآن بالملل لا شيء يجبرني على التفاعل مع الأحداث من حولي.. تبدو الأمور باهتة تماماً وخالية من الألوان.

تأملت قدميَّ وهما خارجتان من تحت الغطاء الذي يلفني فوق السرير.. حركتهما قليلاً لأتأكد من وجودهما الفعلي وابتسمت لشكل أصابعي التي تبدو كسرب مضحك من البط الصغير وكأنها ربطت جميعاً بحبل واحد.. لم أشعر أني قد استخدمتها من قبل أو مشيت على أطرافهما حافية هكذا مباشرة فوق التراب.. أحسست برغبة ملحة لدغدغتها كما شعرت برغبة أخرى للركض بهما.. للجري.. للسباق.. للعبث بالرمال والبحر والهواء.

ترى.. ماذا أريد أن أصنع الآن لنفسي في هذه اللحظات النادرة التي تزداد فيها مساحة الأمنيات حين تضيق مساحة الواقع.. ربما أريد أن أسترخي لأتنفس أو أقرأ كتاب.. أو لعلني أنام دون تفكير في أمر ما ينتظرني في الغد.. وقد أعبث قليلا مع الأطفال وأشاكسهم.. وربما أذهب للبحر لقد اشتقت له.. أستلقي على الأرض أرسم قطع الغيوم كما أحب في السماء.. مشاريع كثيرة كنت أرغب في القيام بها وأجلتها طويلاً الفترة الماضية.. والآن فقط أرغب في شيء واحد.. شيء لم أفعله منذ مدة طويلة لا البحر ولا الغيوم ولا السماء ولا الاسترخاء أو النوم.. أبسط من كل هؤلاء جميعاً.. نعم أن أملأ رئتي بالهواء.. هواء بارد بلا قيود.

حملتـي خيالاتـي بسرعـة فوقها فـذهبت للبحـر أبحث فيه عـن قـراءة مـا.. أردت أن أغـفـو هـنـاك.. كـان عـمـيقـاً ومـهـيبـاً ووسـطـه كانت الشـمـس سـاكنـة ربما كانت تـريـد أن تغفـو هـي الأخرى.. نبهتها بأفكاري.. حدثتها طويلاً لـكنها غابت وتركتني بدأت تـذوب.. تتـلاشـى وسـط المياه وتختفـي.. لامست عينـاي صفـحـات المياه فـبـدا لـي غـزيـراً موحشـاً يـنـذرنـي بـالخـطـر.. ارتعشت أوصـالـي خفت أن يبتلعنـي فتراجعت للوراء أنشـد الأمان.. تعثرت بحكاياتي المبعثرة فوق الرمال.. وقفت لأجمعها لكني لم أحسن شيئاً.. وهنا مجموعة أطفال يجمعون الأصداف عـرضت عليهـم المساعـدة فرفضـوا.. قـالـوا بـأنـهـم لا يحـبـون مشاركة الكبار في لعبهم.. ابتسمت ونفضت كفـي مـن بقايا الـرمال العـالـقة بهما وكنت أقضم في داخلي بعض الأمنيـات وأحلم أن أعود غداً لأسبقهم في جمع الأصداف.. رحلة جميلة لا تكلف شيئاً غير الانطلاق والعفوية في الخيال.

كنت لاأزال مستلقية على السرير أعبث بـأفـكاري هـذه وصغيرة أخي تلهو بقربي بفقاقيع الصابون تعالجها بنفخاتها الصغيرة.. تفلح مـرة وتخفق مرات عـدة وقد ينسكب منها شيئاً على ثيـابها.. سـولـت لـي نفسـي أمـراً انقضـت عليـهـا لآخذهـا لكنها رفضت.. الأطفال عادة لا يتخلون عن أشياءهم بسهولة.. ووجـدتني بكل هـمـة أقـايضـهـا ببـديل آخـر اجتهـدت كثيـراً فـي الحصـول علـى رضـاهـا.. لـم أفـلـح أبـداً.. لـكن مـعـركتـي هـذه أسـفرت فـي النهاية عـن انتصاري المغصوب بنظـراتهـا المترددة

واضطررت للتخلي لقاءه عن شيء من المال وبعض الحلوى ودمية أثيرة من الفرو كنت أمتلكها..

وبحصولي أخيراً على بقايا علبة الفقاقيع وانصرافها غير الراضي عني تماماً بالدمية الجديدة ومعلقاتها.. تقافزت سعادتي في وجهي وعدت بخيالات جديدة وكانت أمنياتي تقف في وسطها.. وبدوت وكأني أمتلك كنزاً أشده في يدي بإحكام.. أمسكت بالفقاقيع واتجهت صوب النافذة.. رحت أنفخها في الهواء بشيء من المرح الطفولي العابث.. وراحت هي تتكور بأنفاسي فيها وتنتفخ عاكسة للضوء اللامع ثم بدأت تطير في الهواء وتحلق معها أمنياتي بعيداً بسعادة غامرة.. ذكرتني بسندريلا وحذائها وبائعة الكبريت وأعوادها وبنت السلطات وقصص السندباد وياسمينة وعلاء الدين والمصباح السحري.. رحلت بعالمي للحظات معهم.. كم تمنيت لو كنت ماأزال طفلة تلهو بمرح وتعبث بباقي الأشياء الصغيرة وتصنع منها عالم خاص بها وحدها.. طفلة بريئة لا تحمل شيئاً من ثقل الأمور في صدرها ولا تخشى من السير حافية بأمنياتها.

صوت ما كان يناديني.. يستوقفني.. ينزلني من وسط الغيمات البيضاء التي كنت أحلق فوقها عالياً.. ابنة أخي الصغيرة بدأت تبكي وتطالبني بإعادة فقاقيعها فقد ملأت البيت بالصراخ.. حين أعدتها لها كنت أراقب قدمي التي كانت لاتزال حافية وباقي من أمنيات عابرة تترسم في مخيلتي ثم تختفي.

12-2-2006م

سـمـيـر مـرتـضـى

لـه الـعـديـد مـن الأعـمـال القصصية المنشورة.

عشر قصص قصيرة جداً

1

قبل الزواج بسنوات.. كنت أقف أمام المرآة لاقتلاع أي شعرة بيضاء.. بعد الزواج بسنوات أصبحت أقف أمام المرآة لأسحق أي شعرة.. سوداء..!!

2

خرجت من بيتي ذاك الصباح وأنا أحمل سعادة الكون إلى أن ركبت الحافلة.. جلس بجواري رجل أخذ يدخن بشراهة.. صفعني على وجهي بدخانه.. بصق في الأرض.. أخذ يشتم

الدنيـا وسكانها.. غادر الحـافلة بعد أن لكزني في كتفي.. بقيت مكاني أحاول إحياء صباحي الجريح.

3

كتبت رسالتي بدمع عيني.. حملتها إلى حفار القبور.. قلت له: أرجو أن توصلها إليها..

4

استغرب الطبيب هذا الارتفاع الكبير في ضغط الدم عندي.. سألني ببلاهة عن السبب؟ فتحت نافذة عيادته المطلة على الشارع.. قلت: ألا يكفي هذا سبباً؟؟

5

سألني الطبيب: هل آلامك تمنعك من الكلام؟ قلت: منعي من الكلام هو سبب آلامي..!!

6

أوصوه قبل سفرهم برعاية شجرة عتيقة.. ولكنه أهملها.. يبست أوراقها وأغصانها.. مر ذات يوم بجوارها فهوت فوقه فقتلته..

7

قررت أن أنتحر ذات اليوم.. فنمت على القضبان.. مرت

ساعة وساعتان وثلاثة دون أن يمر أي قطار.. مر بي أحدهم وقال لي: كم أنت محظوظ.. عمال سكك الحديد أضربوا عن العمل ليتمتع مثلك بجمال النوم هنا..

8

رميت أناملي على «كيبورد الكمبيوتر» أريد أن أكتب.. فجأة سمعت بكاءً صامتاً من القلم المدفون في الأدراج..

9

دفن المهرج ابنه الوحيد ثم صعد إلى المسرح.. ضحك الجمهور.. نفض المهرج يديه من التراب.. ضحك الجمهور أكثر.. انفجر المهرج باكياً.. تعالت الضحكات في كل مكان.. سقط المهرج ميتاً على المسرح.. وقف الجمهور يصفق بحرارة..

10

صافحه الوزير وهو يقدم له شهادة تقدير ودرعاً تذكارياً وقال له: أتمنى لك حياة جديدة مفعمة بالنجاح.. خرج الرجل من الحفل ليبيع الدرع في سوق الخردة ويشتري بثمنه عشاء لأطفاله.

❖ ❖ ❖

هــــــدى
المــعــجــل

كاتبة وقاصة من السعودية، صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان: بقعة حمراء 2005، كما نشرت عدداً من قصصها في الصحافة المحلية، بالإضافة لكتابات أخرى.

أي السحب أمي؟!

حينما رضعت سحابة ظننت كل السحب أمهات لي!! فامتطيت ظهر إحداهن، وتوسدت حضن الأخرى، ولثمت صدر أكثرهن امتلاء.. ونمت.

لم تكن خمس رضعات مشبعات..!! بل كانت خمساً وخمسين.

أمي تقول إنها مئة رضعة مشبعة بدليل نهر اللبن الممتد من فمي حتى السرة.

أمضيت حولين كاملين أعب من ضفة النهر فوق السرة عن اليمين ولم أرو.. فنوت أمي فطامي وبكيت..!!

لم تصرّح لي بنية الفطام.. بل أدركت ذلك حينما عزلتني عن أمهاتي السحب في غرفة قزحية الألوان.. سداسية الشكل.. بسقف سماوي متموج.. وإضاءة خافتة لا تمكنني من رؤية إبهامي الأيسر المدبب.. ذي الظفر النافر لأرضعه، ريثما تستدل على مكاني سحابة ذات صدر ممتلئ بحلمتين نافرتين تلقمني إحداهن هذا العام كله.. وأدّخر الحلمة الأخرى للعام القادم.

مضى شهر.. وتبعه آخر ولم أر سحابة.. وحدها أمي تطعمني وتسقيني كل صباح ومساء.. فواكه.. وخضروات.. وغداء.. وعشاء.. وتسقيني عصيراً.. وماء.. وشاياً أخضر!! فأبقيه في المنتصف ما بين البلعوم والمعدة.. وبمجرد خروجها أتقيأه متعمدة.

توالت الشهور وبنيتي آخذة في الضعف حتى اكتسب وجهي لون قشر الموز.. واستدارت الرمانة وندوبها.. واعترى ريقي الجفاف فاخشوشن صوتي كمن هرأت حباله السجائر الكوبية.. والشراب المستورد.

تعجبت والدتي من ندرة ذهابي لدورة المياه لقضاء الحاجة.. وارتابت من خشونة صوتي الطفولي الأنثوي.. وضعف بنيتي.. وشحوب وجهي.. فظنت أن سوءاً اعترى معدتي وأمعائي فقررت عرضي على طبيب أطفال مختص.

قرأت ذلك في عينيها القلقتين.. وفي صوتها المرتجف..

وتكرار قيامها وجلوسها دون غرضٍ ما.. وقياس حرارتي.. وجس نبضي.

هيأتني لزيارة الطبيب بوضعي في حوض السباحة المربع القابع في الزاوية المقابلة لباب دورة مياه غرفة نومها.. بدأت برفق في سكب بعض من الماء المنعش العذب على جسدي الغض الصغير.. وضعت على شعري قطرات من شامبو جونسن آند جونسن، ثم فركته من عدة جهات وحرصت على عدم وصول الشامبو إلى عيني بسؤالها المتكرر لي:

- هل آلم الشامبو عينيك؟

وأجيبها بالنفي.

استدنت صابون جسم سائل برائحة الفراولة ولونها من منتجات [أفون] ودعكت به ظهري.. وصدري.. وأسفل فكي.. وحول رقبتي.. وتحت إبطي.. وذراعي الأيمن ثم الأيسر.. وساقي الأيمن ثم الأيسر كذلك.. وقدمي.. ومؤخرتي.. ولكن برفق ولم تطل مدة دعكها!!

عادت في سكب الماء الدافئ العذب مرة أخرى على جسدي لشطفه من الصابون.. وقد وددت لو أنها لم تشطفه لنفاذ رائحته الجميلة الأخاذة.. ولكنها فعلت!!

حملتني أمي بحنوٍّ ورفق بين ذراعيها من حوض السباحة

إلـى صـدرهـا فـاصـطـدم صـدري بـأضـلـع كـانـت خـلـف ثـديـين مكتزين استؤصلا قبل عامين عن مرض عضال أصيبا به.

حاولت تحسس مكان الثديين.. وما تبقى من الثدي الأيمن وفشلت.. يبدو أنها عبأت حاملة الصدر بقطن، بيد أنه لم يمنع صدري من الاصطدام بالأضلع المائلة.

لفتني بالمنشفة.. وغطتني من رأسي حتى قدمي باستثناء وجهي.. وفتحتي أنفي.. نثرت على جسدي ذرات من بودرة التلك.. ثم قالت:

- أرني كيف ترتدين ملابسك الداخلية.

لا أدري لماذا لم تلبسني إياها!!

استدنت فستاناً كانت قد اشترته لي في عيد الأضحى المنصرم ولم أرتده لصغر مقاسه!!

أتى الفستان وفق جسدي ومناسباً عليه..!!

سرحت شعري الحلزوني، ثم سكبت في يدها قطرات من الجل وصففت به شعري المجعد.. ثم فرقت خصلاته بأطراف أصابعها.. سبقتها في أخذ قارورة مسك صغيرة اشترتها من [زهور الريف] ووضعت مسحة منه خلف أذني اليمنى فاليسرى.. وحول عنقي أقلدها في طريقة وضعها للعطر.. فاحتضنتني بعنف ملهوف.. وقبلتني بحرارة مشتعلة وهي

تضغط بصدرها المحشو قطناً!! على صدري.. ضحكت ضحك طفلة نهش الجوع أمعاءها.. والتحم جدار معدتها.

ارتديت حذائي الأسود المخملي.. فرأيتها تنظر إلى حذائي.. وتبتسم..!!

ما مناسبة الابتسام الآن..!! «قلت في نفسي»..

نظرت لحذائي فوجدت أني لم أرتد الجوربين فضحكت وهي ضحك طفلين معاً.. وعدونا فسبقنا ظلنا «كما شدت أم كلثوم».

ارتديت جوربيّ الأبيضين.. ثم حذائي وخرجت معها من غرفتي القزحية الألوان.. السداسية الشكل.. بسقفها السماوي حيث الحياة البكر في الخارج.. حيث الغذاء.. حيث الرواء.. وحيث سحب شامخة للأعلى أتوق لرؤيتهن وللثم أثدائهن والعبِّ منها ثدياً ثدياً.

مع أول خطوة خطتها قدماي خارج غرفتي السجن.. وخارج بوابة منزلنا الكبير تعثر قدمي الأيسر ثم الأيمن بعدة أثداء مترهلة تساقطت أرضاً لسحب كانت أمهات لي فوقعت فوقها ليقع فمي على حلمة ثدي نفر من الجفاف.

❖ ❖ ❖

عـبـد الـنـاصـر

كاتب وقاص من السعودية، نشر عدداً من قصصه القصيرة في الصحافة المحلية، وله مشاركات أخرى في مجال الترجمة والمقالة.

الهزيمة

يلبس بذلة رصاصية تمر عليها خطوطاً بيضاء خفيفة جداً وربطة عنق، ولفافة حمراء تحيط بالرقبة وتتدلى فوق الصدر، تقول لك هذه الهيئة بأنها بقايا هندام رجل أحب الأناقة يوماً ما. فخذ رجله اليمنى استراح فوق ركبته وبعض من فخذ رجله اليسرى، يأخذ رشفة من فنجان القهوة التركية ويتبعها بنفس عميق من سيجارة اختفى وهج رأسها بين الرماد المتجمع كما بيوت النمل. كلما سحب نفساً من تلك السيجارة نفذ احمرار الجمرة من خلال الرماد وكأنها تستمد وهجها من احمرار دم قلبه المتدفق قلقاً، كان بيننا موعد للقاء في هذا المقهى المغترب

مـثل رواده، الـغريـب يبـحـث دائمـاً عن الـغـريب فـي بلاد الـضبـاب والأمطار والخضرة الطافحة فوق وجه الكون.

كنت أرقبه عن قـرب، أرقب حركاته، سكناته، تأمـلاته. دار بنا مركب الحديث شرقاً وغرباً، موطناً ومهجـراً ورسا عند الهم الشخصي بشكل عفوي أثارته مـلاحظته، وربما حديثه مع نفسه أو تفكيره بشكل مسـموع أثناء حضوري. قال: هل تعرف يا أخي بأنني هزمت نفسي!! ماذا تقصد (هكذا سألته)؟

استرسـل وهو يعيد فنجان القهوة على الطاولـة: حين تحب شيئاً فهو يهزمـك في بعض الأحيان. أنـت حين تحب فتاة بشكل حقيقي ولا تستطيع الارتباط بها لأسباب اجتماعية أو طبقية أو مـا شابه ذلـك، فإن هـذا الحـب الفـاشل قـد يـدخل الـهزيمة إلـى نفسـك مدى الحياة، ولكنها قد تـكون هزيمة إيجـابية (كمـا يقول الـسـاسة)، ولكن الـمصيبة هـي في أن تنال مـا تحب، ويتحـول هـذا الحب إلى هزيمة تعيش معك في أحلام اليقظة وأحلام النوم.

وهل هزمك الحب أنت؟ (سألته)

نعـم، كان الـسجـان يعرف هـذه الحقيقة أكثر مـني. قـال لي اعترف بما لـديك فقلت له بأنني ليس لدي ما أعـترف به. نادى على أحد الجنود وأمره بحراسـة الزنزانة (تجاوزاً أسميها زنزانة فهي لم تتجاوز مساحة السرير الصغير الذي أنام عليه). وقال لـي: عـندمـا يـكون لديك شـيئاً تـقـولـه قـل لـلحـارس أن ينـاديـنـي، وابتسـم وتـركنـي. كنـت أراه يمـر كل صبـاح مـن أمـام الـزنـزانـة

متجهاً إلـى مكان ما ويعود خارجاً ويكرر ذلـك عدة مرات في كل يوم. لـم يكن ليلتفت إليّ أو يسألني، لا هـو ولا غيـره، أي سؤال بتاتاً. مـر اليـوم الأول والثـانـي وانـتهـى الأسبـوع الأول والثـانـي وانتهى الشهر والشهرين.

لـقـد تحـول السـجان فـي بـلادنـا إلـى اسـتخـدام تكتيـك المناضلين وأصحاب القضايا الوطنية، إنه الصبر والتجاهل التام إلـى درجة الاحتـقار. كانـوا فـي الماضـي يقـدمـون لـك الـوجبـة المطلوبة ساخنـة اعتـماداً علـى وقت وصولـك لـدى مضـافـاتهم، فـإمـا إفطـاراً أو غـذاء أو عشـاءً وإن لـم يكـن فـوجبـة خفيـفـة خاصة. وكانت هذه حالة تخلق لديك نوعاً من الـتحدي والإرادة بشكل لا تدرك بأنها كانت موجودة بداخلك أبداً. نعم، تتلبسك روح أخرى هي ربمـا عـصارة لحياة مـن قـرأت وسـمعـت وعـرفـت عنهم وهـم يواجهون ما تواجهه في تلك اللحظات الحرجة. هذا أول سـلاح يسلبه منك سجانك هذه الأيام.

لقد بـدأت أفقد الإحساس بالـزمن وفقدت تمييز الأصوات والألـوان وبـدأت هذه الأجواء بـإحداث فراغـات لأسئلـة محيـرة ومخيفة. إلى متى سوف يداوم هـو ثمان سـاعات ويشرب خلالها الشـاي ويـتصفـح الجرائـد ويسـمـع آخـر الـنكـات الجـنـسيـة والسياسية، وينتقد رؤسائه بين الخاصة من زملاء المهنة ويستلم راتبـه آخـر الشـهـر ويزور مـع أهلـه وأطفـالـه (هـل يحب هـؤلاء

الناس الأطفال) الحدائق والمتنزهات العامة والسواحل البحرية وأنا هنا قابع؟.

ذات صباح طلبت من الجندي فناداه، جاء متململاً وهو يقول بحركات عجلى: نعم، هل غيرت رأيك أم تريد تضييع وقتي؟ قلت: أريد أن أقول بعض الأشياء. قال: سوف أناديك فيما بعد، وهل تعتقد بأنني ليس عندي إلا أنت؟

كلما طال انتظاري زاد قلقي، زارني إحساس بالوجود فسعدت لهذا الإحساس الذي توارى في الأشهر الماضية، في اليوم التالي أخذني الجندي إلى غرفته. نعم ماذا لديك (هكذا سألني)؟ تحدثت معه عن نفسي متى وأين ولدت وأين تعلمت ومن أناصر من الأفكار وعن هواياتي، ثم صمت. وهل تعتقد بأننا لا نعرف هذه الأشياء؟ (سأل بسخرية). الحقيقة أنا أعرف بأنهم يعرفون هذه الأشياء فلقد كتبتها في استضافات سابقة. ساد صمت أدرك خلاله بأنني أريد أن أقول شيئاً ما ولكنني لا أعرف كيف سأبرر هزيمتي.

❖ قال: هل تريد أن تراها؟

= نظرت إليه دون أن أتكلم،

❖ هل أحضرها لك هنا أم في غرفتك (لا يحبون كلمة الزنزانة)؟

= صمت،

❖ إذاً أنت تريد لقاء المحبوبة التي ورطتك في كل شيء؟

= صمت،

❖ نعم، لو كنت مكانك لفعلت نفس الشيء، سوف أحضرها لك رغم أن ذلك مخالفاً لقوانيننا كما تعرف.

وفى بوعده وأحضرها لي في غرفته وخرج تاركاً لي حرية التأمل والحلم واسترجاع الذكريات الجميلة. فصلنا عن بعضنا وأعادني إلى زنزانتي وحين طالبني باعترافات جديدة وجد الصمت. بعد اللقاء الأول شعرت بالحيوية والانتعاش وبروح جديدة ترفرف على كياني. وتكررت الحالة الأولى: صبره، وصمتي، وخوفي، ورغبتي في الحديث.

كان عرضه مغرياً هذه المرة: تسكن معك إن أعطيتك ما أستند إليه لتبرير ذلك لدى من هم أعلى مني. تحدثت معه حديثاً طويلاً أسعده. وحين استقر بها المقام معي فقد صدرها نهوضه المثير، وانتهى عجزها إلى مسخ، وتحولت قوافيها إلى علقم يجرح الحلق عند الإنشاد. فيما مضى كانت تشد صدرها إلى صدري متيقنة بأنني أحميها من الأشرار. ولكن آخر مرة احتضنتها إلى صدري داخلها إحساس سري بأنني أفعل ذلك لأمكن الأشرار منها.

سيهات 3 مايو 2001م

❖ ❖ ❖

مـــريم
ســعــيــد
المـــري

الإمارات – دبي 1979م. مجموعتها القصصية الأولى بعنوان (كلما تسلقت السماء)، ولها مجموعة قصصية بعنوان (لوحة المطر). شاركت في عدد من الأمسيات القصصية.

نـــون

المحاولة الأولى:

أشعرتها نسائم الصباح الباردة في ديسمبر بالأمل، وجدد روحها تغريد العصافير بينما هي تسير وفي يدها دفتر صغير.. حماسها يبلغ مداه عندما تتخيل عملها الأدبي الأول مطبوعاً ومنشوراً.. وحلمها الأول هو أن تنجز هذه الرواية العجيبة. لديها شيء من الوقت اليوم لتكمل هذه الرواية فإجازة الثاني من ديسمبر هي مناسبة رائعة لإكمال المشاريع الشخصية العزيزة.. وأخيراً تجلس في الحديقة على الكرسي الأرجوحة وتغرق في الضوء الأخضر وسط الأعشاب والعصافير

والـفـراشـات، وتمـتـلـئ روحـهـا بـالـحـمـاس فـتـأخـذ قـلـمـهـا وتـكـمـل رحلتها مع القلم:

«ن» حرف.. حـرف رقـيـق ذو روح عـذبـة، ومـعـنـى عـمـيـق في زمـن المطلـق، سـقـط نون مـن الـسـمـاء الـعـالـيـة إلى الأرض يـومـاً، وتهشم، ولـكـن صـبـره عـلـى إعادة اكـتـسـاب المعنى حـول دنـيـاه إلى زمـن الحـب.. ذلـك الـزمـن الـذي يـولـد الـشـعـور الـعـذب الـعـمـيـق بالمعنـى الـنـابـع مـن حـتـمـيـة وجـود حـكـمـة خلف كل تـبـدل فـي هـذه الحياة».

اقترب منهـا طفـل صـغـيـر فـأخـذتـه بين ذراعـيـهـا ومـلأت بـه قلبـهـا هـمـس الـطـفـل: أنـا نـون. ورغم دهـشـتـهـا لـم تـبـعـده عـنـهـا وبـقـيـت تحـتـضـنـه بـحـب إلى أن أفاقـت من الـنـوم.. يـبـدو أن الجـو الغائم الجميل جعلها تسترخي وتغفو.. وأحبت الطفل الذي رأته وأرادت أن تحـتـضـنـه مـن جـديـد فـدفـئـه لايـزال يمـلأ روحـهـا.. وبينما هـي كذلك رأت والدتها تقترب عبر الحديقة وفي عينيها أخبـار وبشـائر، ولـم تشـأ أن تـصـدق حـدسـهـا الـذي صـدقـتـه أمـهـا وهـي تخبرهـا بأن نـاصـر ابن عـمـتـهـا يـريـد أن يـتـقـدم لخـطـبـتـهـا، وبأنه وعائلته سيزورونهم اليوم.

كررت وكأنها ببغاء: ناصر.. ناصر.. نون.

ضحكت والدتها منها.. وتسطرت ملامح ناصر في ذاكرتها في مراحل مختلفة.. ثم بزغت في ذهنها لوحة كبيرة رسم فيها

حرف النون بـاللون الأخضر.. وتبدى ناصر مشاغباً حيناً شهماً حيناً آخر.. ومغـروراً حينـاً وبطـلاً حيـناً آخر.. نـاصر كان يلعب معها بالعرائس عنـدمـا يرضـى ويحـطمهـن لهـا عنـدما يغضـب، ومـرة ألبسـته ثيابهـا ووضعـت له شـيئـاً مـن مـساحيق الـزينة ثم غارت منه لأنه بـدا أجمل منها، ثم هرب منهـا وقد أصر على أن يظل رجـلاً، وأحبـته وقـد سـخر منهـا وهـو يمثل دور الفـتاة.. ثم بـدأ يكبـر ويبـتعـد فـي نفـس الآن.. ثـم نـسيتـه وربمـا تحـول إلـى حرف هـمس به اللاوعـي عندهـا ذات يوم: «ن» فقررت أن تكتب روايتها الأولى.

المحاولة الثانية:

«خـرج نون مـن وهـم الحـلم إلـى يقظـة الواقـع.. ونون حـرف صغير صغير، وخجول...» استمر القلم يكتب في خارطة خيالها دون ورق، ودون جهـد منهـا ولا تفكير.. وكانـت توشك أن تـركض نحـو غرفـتهـا لتتـنـاول الـدفتـر وتـخط مـا همـس بـه الـقـلم قبل أن يـذوب وتمحـى معـالمـه مـن الـذاكـرة لـولا أن مـنـعـهـا الحيـاء.. والخجل. هـا هو ناصر يهمس لها بشيء فـي حفل عقد قرانـهما فتصغي إليه نصف تائهة.. وتفـهم كلماته ولا تفهم ما يقول.. ثم يعود القلم ليهمس مشوشـاً وجودها ومعنـاها «ميم حـرف *أحب نـون.. فـكـانـت مـن، وكـانـت نـم.. وتحـولـت ميـم إلـى فـتـاة اسـمـهـا*

منـى.. ونـون إلـى فتـى اسمـه نـاصـر، أمـا القـلـم فهو الإلهـام..»
واقترب منها صوته الهادئ النبرات: منذ متى وأنت تكتبين؟..
ودهشت لأنها لم تتصور أنه يعلم شيئاً عنها ككاتبة.. وقبل أن
ترد أخبرها بسرور: قرأت قصتك المنشورة في الملحق الثقافي
في الجريدة اليوم. وابتسمت، ثم رددت: ثلاث.. ثلاث سنوات».
وتحول القلم إلى مداد مائي يرسم العالم بألوان روحية مضيئة،
وأشرق الفضاء بالنجوم والأحلام».

❖ ❖ ❖

حصة القحطاني

قاصة من قطر. لها العديد من الأعمال القصصية.

الرجل الروماني

تساءلت في نفسي وأنا جالسة بجواره في مقعدي بالطائرة، ما الذي يميزه.. هل هي رجولته أم هو ذاك الإشعاع الدافئ الصادر عن عينيه اللتين تنظران بكل ثقة وتصميم نحو الأوراق التي بين يديه وقلمه الذهبي الذي يشع كأشعة الشمس الذهبية وهو مسلط على أوراقه.

انفرجت شفتاي عن ابتسامة رافقها تفكير بدأ عقلي ينسجه بماذا سيفكر لو علم بأنني أفكر به مع أنني لم أره إلا بجواري في الطائرة.. أكملت لوحتي التي كنت أرسمها وكانت عبارة عن أم تحتضن طفلها بكل حب وحنان، تأملتها واندمجت

معها وبدأت أشعر بها، ولم ألحظ أن عينين غير عينيّ كانتا تنظران للوحة معي، عينان تحملان معنى غريباً هل يا ترى حزن أم شوق للماضي.. إنه لغز لم أستطع فك رموزه تلك العينان كانتا للرجل الروماني نعم لقد أسميته كذلك لأنه ذكرني بتمثال قد رأيته لرجل روماني يحدق بعينين صافيتين في الأفق الواسع، فكان بنظراته الثاقبة لأوراقه كذلك التمثال أتممت لوحتي وأنا أوهم نفسي بأنه لا ينظر إليّ وأنا أتفنن بوضع اللمسات الأخيرة، قطع ذلك الصمت الطويل صوته الدافئ يتردد على مسمعي دون أن أرد عليه ولكنه عاد ليدق ناقوس أحلامي بسؤاله: «هل أنت راسمة؟» من شدة الارتباك سقط القلم من يدي فانحنى ليحضره، قدمه لي وابتسامة تعلو فمه مما زاد من خجلي - هذه المرة - فاعتلى اللون الأحمر وجنتيّ مما جعله ينظر إليّ بدهشة وتعجب.

أجبته بتلعثم «أنا هاوية».... هز رأسه مكتفياً بذلك وتابع قراءته لما بين يديه، تمنيت لو أنه لم يكتف بذلك بل تابع حديثه معي... انتهيت من لوحتي وذيلتها بتوقيع اسمي عليها كما يفعل الرسامون الكبار.

تملكني إحساس يدعوني للالتفات ناحية الرجل الروماني فالتقت إليه فالتقت عيناي بعينيه، كان لها بريق خاص... فبالرغم من أنهما كانتا تنمان عن ثقة وتصميم إلا أن ما زادهما هو ذلك الدفء المنبعث منهما.

طلب منـي رؤية لـوحتي فـأعطيتـه إياها وبدأ ينظر إليها بعمق شديد فأبدى إعجابه الواضح بها، ثم عاد ليتأملني للحظة وهـو يعيدهـا إليّ ولكن دون أن أشعـر وجدت نفسـي قـائلـة لـه: «يمكنك الاحتفاظ بها، إنها هدية مني».

فتساءل قائلاً: «وما المناسبة.. فاليوم ليس بيوم ميلادي؟»... كان في سؤاله شيء من السخرية، فأحسست بسخافة فعلتي هذه، ولكن عندما شاهد مسحة الخجل التي امتزجت بالحزن قد بدت على وجهي، ابتسم ابتسامته العذبة وذلك الإشعاع يتخلل إلى قلبي.... تأسف على قوله وقبل هديتي، أعجبتني لباقته في الاعتذار فبادلته الابتسامة.

بعد ذلك أعلنت الطائرة عن وصولها، كان المطار يعج بآلاف من البشر وبدأت الاستعداد للخروج وقد احتل الرجل الروماني كل تفكيري. وأنا في طريقي للبوابة الرئيسية إذ برجل يلوح لي – ولكن لحظة! – إنه الرجل الروماني وهو يناديني باسمي، تعجبت لذلك فكيف عرف اسمي؟.. ولكنني سرعان ما تذكرت لوحتي التي وقعت عليها باسمي اتجهت إليه ودقات قلبي أكاد أسمعها فإذا به يخرج من جيبه قلمه الذهبي الذي أعجبت به.

أهداني القلم فسألته: «لم هذا؟» فأجاب: «هدية لك مع أنها لا تساوي هديتك الجميلة». أجبته بعد ذلك «لم أطلب مقابلاً لهديتي فلقد كانت مجرد هدية».

نظر إليّ وقال: «لم تكن مجرد هدية عادية....» بعد ذلك ودعني واضطر للذهاب... نعم لقد ذهب وعبارته تتردد كصدى في ذهني ولم أفهم مغزى عبارته ولكن الشيء الوحيد الذي كنت واثقة منه هو رغبتي الشديدة للقائه مرة أخرى.

أترى سيسمح لي القدر بأن أصادف الرجل الروماني مرة أخرى؟؟؟

«ما أشد ما أتمنى ذلك».

❖ ❖ ❖

سارة الأزوري

قاصة من السعودية، صدرت لها مجموعة قصصية بعنوان: طقس خاص 2005، ونشرت عدداً من قصصها في الصحافة المحلية.

سبصيرة

ما أجملها!

خليط من الملامح العربية والآسيوية، تخطو بخفة مثل الغزال.. سبحان المبدع تشبه إلى حد كبير أختي فائزة.

هي، هي.. من أريد!

صفعتني على خدي بقبلة سرت حرارتها في عروقي.. تشبعت بخدر لذيذ أخذ يهوي بي، ويهوي، ويهوي في عمق لذة لامتناهية أهو الحلم؟

كنت أردد :

معك حق يا أبي، يا لها من نعومة لدنة طوحت بك في جحيمها.. المحقق بهيئته المرعبة يقرع ذاكرتي:

هذه المسكينة قذفت بنفسها من الأعلى بعد أن فقدت عفتها وبان حملها.. من الفاعل؟؟

أنا وإخوتي..

نعم أنا وإخوتي نعرف أنفسنا جيداً ورثنا الفضيلة من أخوالنا.

أصرخ من داخلي إنه أبي.. نعم أعرفه جيداً هو من يفعل ذلك.

لم تخطاه الاتهام هل خدعكم الشيب!؟

عاود المحقق السؤال: من الفاعل؟؟

ودرءاً لفضيحته قلت: أنا.

انهالت سُوندي عليّ بصفعات فيها الحانية.. دفعتها بقوة.. لا.. لا لم نتفق على هذا آمرها بالخروج..

صفعت الباب خلفها وهي تردد (Gila. Gila)[1].

أسرعت إلى النافذة أتابع خطواتها الحانقة، عبرت الشارع واستقلت تاكسي ثم انطلقت.. وانطلقت ذاكرتي إلى الوراء..

(1) مجنون.

كدت أفقدني لولا صلة القرابة التي تربطني بالمحقق.. اتبعنا سكوتها وانتهى كل شيء..

لم أتيتُ إلى هنا؟؟

الطبيعة؟ يالها من طبيعة استغلقت خلابها على نفسي.

هي طبيعتي التي أريد! لم لا تعود.

قلبي يتفلت مني باحثاً عنها.

ارتديت ملابسي ثم هبطت إلى بهو الفندق.. في أقصاه وقعت عيني على كلمة بار.. صعدت درجاته الضيقة.. تنحيت جانباً كنت حذراً من أي مشروب يودي بصحوي.. أمرت النادل أن يحضر لي مشروباً غازياً وشيئاً من المكسرات.

من الخلف يأتي صوت عربي (حياك الله، أسفرت وأنورت).

جلت بنظري بحثاً عن المحيي البدوي.! لا أحد كل ما يحيط بي ملامح آسيوية.. العدد لا يتجاوز العشرين.

اعتدلت في جلستي وخلت نفسي واهماً .. ربت على كتفي: لم لا ترد التحية؟

عرفني بنفسه يعمل منذ بضع سنين (قهوجي) عند أحد الأعيان.. وهذه أول رحلة استجمام يقوم بها.

أرهقني بثرثرته ليته يسكت تمنيت ذلك!

شـيء مـا يمور فـي أعمـاقـي.. أنقـذتنـي تلك الموسيقى الصـاخبة مـن اضطهاده.. الكل أخذ يتمايل.. أتبينها! (سُندي) هي هي بعينها ما أجملها!

بنظرات محمومـة بالإغراء تغرز فتنتها داخلي أعكس على محياها ابتسامة.. بعد انتهاء المقطع الراقص.. تسحب الكرسي وتجلس أمـامي معاتبة. غصت حنجرتي بكلمات الاعتذار، تقبل علـي، أدفعها بلطف أريد الحـلال، تسحبني مـن يدي تهبط بي مـن السلـم الخلفي للبـار، تقف أمـام بـاب تدفعه ثم نلج إلى الداخل تنادي: (ibu ibu)(2)، تلتفت والدتها نحونا ثم تتراجع للخلف ملجمة بالذعر.. وقبل أن أفقد وعيي صرخت بدوري سبصيرة خادمتنا.

❖ ❖ ❖

(2) ماما.

نـــــــوال تـــــركـــــي الجـــــبـــــر

قاصة من السعودية، نشرت قصصاً كثيرة في الصحافة المحلية.

وثيقة مُطعمة بالشهوات

أخشى أن أكون ملاكاً يتساقط مع المطر! أرتعد من الموت مع فصول القدر.. ملاك عارية.. تجرفني نكبات الأسى (أرتشف) من كأس السكر رشفاً.. يرتعد جسدي وأنا أهبط به على الكرسي الأسود، كما تهبط معي كل أشيائي على الكرسي المحاط بقابض فضي يلمع كلما أطلّت الشمس بأشعتها الدافئة، والأشجار تتشاجر كعادتها مع فضول الرياح كما ترسم وجوماً أحايين أخر، والطلاب يتعانقون بضحكات تتساقط على آذان مرتادي الشارع المجاور!

يعبر سريعاً أمامي.. يومئ لي بأن أتبعه، دار بيننا في وسط الجامعة حوار بالإشارة!

ينتصب سريعاً أمامي وقوفاً وأتخلص من خيوط الملل سريعاً.. أتبعه.. أنظر بما يشبه الحديث الداخلي لمؤخرات الطلاب والطالبات! للفتيات مؤخرات بارزة، والفتية يمتلكون مؤخرات مسحوقة تماماً؟!

أخمد ضحكاتي فحمى الجينز والأقراط لم يتخلص منها العرب حتى الآن.. عاج جسده يميناً وأختفي! أسير.. أكاد أصرخ:

توقف.. أيمن!!

أتذكر أن الحب مازال محظوراً في جامعاتنا ومصادراً كأي شيء آخر مرتبط بالمشاعر؟! أكوّم لسان أفكاري داخل فمي وأستمر بالمتابعة.. اللوحات المشنوقة بإطار ذهبي تحوي صوراً لمدير الجامعة، فأضحك من بشاعته.. كيف تهب الحياة عطاءها لشرائح كهذه؟! اعتلج بكتفي طالب متأخر عن محاضرته، فتتساقط أفكاري وكتبي.. تخاوص في نظرته إليّ.. أسقط على أذنيه اللتين فرتا سريعاً نحو السلالم....

«يا ابن الأخـ..!.........»

تهاجم أحذية الطلاب كفيَّ وأناملي التي تحاول بخوف التقاط كتبي وأشيائي المتناثرة.

يخدش إصبعي أحدها، فيجري دمي بحنق يُلطِّخ الممر بقطرات حمراء سرعان ما تترقرق كدمعة حمراء على كفي وتختلط بالحلقة الذهبية التي تزين إصبعي.. يقف بجانبي

يحمل كتبي وحقيبتي ويسند جسدي للنهوض ويرحل سريعاً.. أسند ظهري على حائط الممر وأفتح حقيبتي. أُخرج منديلاً وردياً ومعطراً. أزيل قطرات الدم التي سرعان ما جفّت وتقشّرت من تدليكي لها محاولة إزاحتها.. أنحني يميناً وأجول ببصري ناحية مكتب الإدارة وأجدها عاكفة على الورق سيدة محنّطة منذ تسعين عاماً أو تزيد؟! لوحة الملاحظات بجانب غرفتها مغمورة بمواعيد قُدِّر لها أن لا تنتهي. واجبات حياتية عظمى أكبر من كونها روتيناً تعليمياً؟!

أسير وأملي به كبير، الباب الخشبي منبلج والصمت يستجذب الصدى....

ملاك.. ملاك..

ثمة شخص يهمس باسمي.. أُرهف السمع.. وأنظر لتقاطيع ملامحي! أدير الصنبور والماء يتزحلق على الرخام الشاحب بشفافية أغسل جرحي وبقايا لطخته ورائحة دماء جافة.. أفتح حقيبتي وأخرج عطراً أنشر عبيره على جسدي وأطبع بطلاء وردي على شفتي يهمس مجدداً:

ملاك.. ملاك..

وأخيراً تعرّفت لملامح بحته، أحمل أشيائي صوب الباب يشدني من عنقي ويغلق الباب. الحمام ضيق ولكنه اختاره كمنزل الحب التعيس..! أستفسر بحزن:

- ألم يُغرك متسع آخر؟..!

- يمكننا تعاطي الحب في أسوأ الحالات..

غرس شفتي بفمه واعتصر حزني تدريجياً! أزحت شفتيه عن وخز حزني وأردفت

- قد حمّ الفراق غداً! سنتحرر من قيود الجامعة فكيف سيكون لقاؤنا؟! أفي حمامات المدينة؟!

- ربما (نظر إليها ساخراً..)

- والحب الذي بلغ عمري الجامعي أين ستهوي به؟!

....

أهذا هو حلمُك الذي تنازلت عنه مع كل الفتيات لتوقعني في شر سذاجتي؟!

لم الصمت هل أصبت بخرس ندائك هنا أيضاً؟!

(كان صمته مُمِضّاً هنا!)

كل حديث احتجنا سالفاً لفظة.. فمها لولا صوت الماء المتساقط خارج الحمام جعل من خرس غضبها جذوة تتوقد في داخلها وترسم معالمها على الصمت تحاكي نظراتها واقعاً مسجوناً للأبد بأسوار الجامعة ذات الخمسة أعوام!

بلمسة من يده الغليظة يجرف الماء صمتهما بموجة دائرية من «الإفرنجي..!».

يهدأ الماء خارج الحمام، يقترب منها ويعانق كفّيها بحرارة.

يقبّل شفتيها ويشدهما للخارج كأنه ينتزع قلبها بأكذوبة جديدة عمرها دهر!! تدفعه بشدة فيصطدم جسده بالحائط.. تحمل أشياءها وحقيبتها المتدلية كحزنها، وترحل مودعة دهراً من الحب، كما يودع مرتادو الحمامات ما يزعجهم من نداءات الطبيعة.. وعلى طاولة السماء يفترش الليل مفرشاً يزخر بالنجوم ويضع أحزان تعبر عن شحوبها.. وكالقمر تتفرد بصوت دموعها على وسادتها كريش شفاف يتساقط من ملاك حزين.

تستفيق على صوت الصباح وتنطلق بشموخ مودعة كل أسى تسرب لليلة واحدة لتمسك وثيقة التخرج بنجاح. تهوي سريعاً على السلالم.. تنحني يميناً، باب الحمام الخشبي لازال منبلجاً، وثمة صوت يلتبس صدى الأمس:

ملاك.. ملاك..

تخرج مسرعة وتلتصق بتنهدات على الحائط البارد.. تعبر أمام المرآة فتاة أخرى تغتسل بالعطر.. تفتقد لمعان طلائها على شفتين مكتنزتين حتى يرتعش الصدى..

سهاد.. سهاد..

تجحظ عيناي وأطل من الباب الخشبي وأنا متشبثة به كقطة مذعورة! حتى تخرج يده الغليظة من باب الحمام وتشد عنق الفتاة تتلاشى كما لم تكن منذ بُرهة عند المرآة تفتقد نفسها. يغلق الباب.. وصوت نفس جائعة تختبئ في فترها ومازالت (تحترق بشهوة)!

مـشـعـل العـبـدلـي

الرياض، قاص ومهتم بالشأن الثقافي، عضو جماعة السرد - النادي الأدبي بالرياض، وله إسهامات ومشاركات في المنتديات الأدبية على الإنترنت، وينشر في الصحف السعودية.

أحلام العمة جعدة

قلت لها ذات مساء شفيف أن الفلاسفة يقولون: الأحلام.. ضرورة، تمنعنا من الجنون، قالت جميل، جميل جداً، لكنها لم تحلم! كما هي، مذ عرفتها، ولأني أخاف عليها من الجنون جئت بأحلام العمة جعدة.

- كل هذولا رايحين العرس..!؟

سألت العمة جعدة[1] متعجبة، ببراءة بدوية، وهي تجاورني في مقعد السيارة، ونحن نجتاز المخرج الخامس باتجاه الشرق، مدعوين لحفلة عرس، وقد هالها منظر أرتال السيارات، وهي تتقاطر في ساعة ذروة المساء، بلا توقف، كسيل الوادي الذي

اعتـادته. لم تكن صحتها لتسـمح لها بمـرافقتنا للحفلة، فقـررنا أن تبقـى لـيلـة العـرس هـذه فـي ضيـافـة أختـي الحـامـل، وهـي المغرمـة في حضور زفات الـوادي، حيث لا مكـان يتقاطر إلـيه كل أهل الوادي سوى مكانين: حفلات الأعراس أو الحقل.

لم تـكن لـتألـف أي مكـان، ولو لـليـلة واحـدة، سوى اثـنين، إن جلـت الأماكـن: بيـتهـا ذو الحجرتـين الـ إحـداهـا مـطبـخ، والأخرى مقيل الصيـف ومدفأة الشتاء معاً، أما المكـان الآخر، فكان غرفة نـاتئـة مـن بـين غـرف داري. لا أدري مـا الـسبـب فـي اختـيـارهـا الإقـامة عنـدي، دونـاً مـن خـمسـة عشـر من أبنـاء وبنـات أخـويهـا الراحـلين. الذي أعرفه جيـداً أنها تحبنـي جداً، وهـذا عمل يحبه الـلـه، وتهـتف لـه الملائكة، كما سيـجعلنـي كلـما جـاوزت المخـرج الخامـس، أتذكـر كل تفاصيـل الـشهرين الـتي قضـتهـا معـنـا، مـنذ مرضـها قبل الأخير في العينين الذي جـاءت من أجله، وقـبل أن يـداهمـها المـرض الغـامض الأخير الـذي جـاءت مـن أجلـه. أتـذكر حكـايات نسـجتها لي ولـصغاري عـن أبنـاء سـكنوا الجنـة، وأتـذكر بكثيـر مـن البـهجة، كيـف كان البـيت مزهـواً كمزار، ولـه نكهتـه الطـيبة الـتي لا تـأت إلا مـع المسـنين، وتغـمره محبـة تتـدافع إلـيها وإلـينـا مـن كل صـوب. لـم تكن لـتريـد مغادرة الحقـل والـوادي، كي تتطـبب بعيـداً، لـكن مـا أقنـعـهـا بـذلـك، أن ثـمـة حـلـم يـسكـن فـي أعـماقهـا وتـثق ألا يـخون، سيـعود بهـا لـلحقـل مرات بعـد مـرات. سـيـدة حبـلى بـالأحـلام كـانـت، ذاتهـا تـغـزل، وتـتوهـم أن شـعـرهـا يتسـاقط، جراء غـزل دؤوب، درجت عليـه بشـكل كثيـف فـي سنـتيهـا

الأخيرتين، انتظاراً لشيء، وكأنها تستعد للقاء حميم، بعد أربعين متخيلة جراء مولود أو حلم. كانت تراه فعلاً كزخات بيضاء، أو كندف قطن ثلجية تتساقط ليزيد حرجها أمام المعازيب[2]. تشعر به، وتغضب وهي الحليمة دوماً، إن قالوا لها أنه ليست ثمة شعر. كل العائلة والزوار يزجون الوقت معها، ويقنعونها بذلك، إلا أنا، فكنت أغزل معها الشعر القصير الأجعد، وكان يطول ويتساقط، وكنت ألتقطه وهي تشدو بصوت حزين على مسمعي:

– يا نصيبي.. لا تبطي عليّا.. يا نصيبي.. وشعري غزلته لك.. يا نصيبي –.

ليس النصيب والبطا[3] والشعر الذي تغزله ويتساقط ما يعنيها، بل أبناء تقول إنهم ماتوا صغاراً.. صغاراً جداً. زوجها المسن الذي يقاسمها الحياة في الحجرتين أحياناً، ومشوار الحقل، كل صباح، ونصف الوجع يقول ذلك أيضاً، لكن لا أحد في القرية رأى أياً من هؤلاء الأبناء، وهي تقسم:

– وحياة ربي[4] – أنها تلدهم فجأة في الحقل قرب النخلات ويموتون، وتدفنهم في ذات الحقل!. الزوج له ابن كبير غارق في الكدادة[5]، وله زوجتان يوصيهما بالعناية به ولا تفعلان، ويخدمنه الزوجتان بشكل متناوب، وليتبقى له نص وجع يقاسمه جعدة، التي كانت إلى قبل أن تأتي مرغمة للمدينة

والعطارين والدخاتر[5]، كانت تصر على أنها لاتزال شابة، تعد الشاي وتنظف الغرفتين وتتوقع أنها تعتني جيداً بالزوج وبشؤون الدار.

سألتني مرة لماذا لا ترى المتلبن[7] عندنا، وقد خصتنا بإرسال حصة وافرة منه قبل مجيئها بأشهر، يوم كانت في الوادي لتجني وترسل فقط. المتلبّن الذي تجنيه من نخلاتها الثلاث الباقيات، تسأل، ولم تكن لتتوقع، أو حتى تصدق، أن المتلبن هو نفسه، مع قليل من ماء، هو المريس[8] الذي نرسله لجارنا البدوي ليقدمه لماشيته، في حظائر على أطراف المدينة. وحتى ذلك المساء، مساء العودة من ليلة العرس، سألتني وهي تتلمس في حلكة الواحدة فجراً، طبلون السيارة، عن القطعة المزركشة بكل الألوان، التي نسجتها وأرسلتها لي منذ سنوات، كي أقي بها السيارة من صيف مدينتنا اللاهب، سألتني ولم أدر كيف أجيب، ولا حتى أين القطعة. عمتي ذاتها التي تشبه شجرة طلح، لم تتصرف دوماً إلا بطيبة، ولم تتكلم يوماً إلا بصدق، لم تدر أن ثمة كتب يبحث فيها الأزواج عن أسماء لمواليدهم، يوم سألتني ذات مساء، عن كتاب وجدته وحسبته شيئاً بالغ الأهمية، لتخبرني.

- وليدي.. هذي وريقات شغلك..!

لأجيبها بنفس الطيبة والصدق التي تعرف. عمتي هذه لم تتعب كثيراً، كما نحن، في البحث عن أسماء لأبنائها الذين

ولـدوا ومـاتـوا، وقـد لا تـسـمـيهـم أصـلاً، أو لا تـريـد لأحـد أن يعـرفهـم، يوم لـم يروهـم، بما فيهـم الزوج المكتفي أصـلاً بولـدين من أنثاه الأولى التي رحلت باكراً. لا أحد يعرف عددهم أيضاً، سوى أن عجائز القرية يرددن أنها تكذب، كما يقول عمال جني التمر أن عددهم ستة، بعدد النخلات التي تملك، ويقول مسنون في الوادي إنهم سبعة، بعدد القبور التي في حقلها، بما فيها القبر القصي المفتوح، وبرغم كل ذلك، فلا يوجد دليل واحد تثبت به حقيقة أنها تنجب، أو لم تهتم أبداً بأمر الإثبات، ولا حتى إخراس العجائز، وأن يكف العمال والمسنون عن تقصي العدد، فقط كانت تسمي القبور قصوراً، وتوصي أن تدفن في قصر قصي، يطل على بقية القصور، وكانت تقول إنها إذا ماتت، فليتركوا فقط لساقي الماء أمر حملها للقصر القصي، وكانت تجزم أنها ستموت هناك في الوادي وتدفن في الحقل، وكانت تؤمن أن الأيام لازالت حبلى، بأن تعود ببصر حاد، وشعر لا يتساقط، وأبناء يزرعون الحقل، ويجنون المتلبن، ولم تدر أنها حبلى بسرطان غامض، جاء وقت جني الأحلام والتمر، كانت مليئة بالأحلام التي لا تتحقق، الأحلام التي كنت أتوقعها أوهاماً، وعليها صدّقت ما يقلنه عجائز الوادي، حتى شاهدت بعينيّ ستة رجال حملوا معنا النعش وغابوا مع غبار الدفن لقبرها القصي جداً، الذي يحوي الأحلام، ويبعد مئات الكيلومترات عن القبر القصي السابع.

15 نوفمبر 2005م

الهوامش

(1) جعدة: إمرأة حبلى بالأحلام.
(2) المعازيب: المضيفين وأهل الدار.
(3) البطا: البُعد.
(4) وحياة ربي: لزمة جعدة عندما تقسم.
(5) االكدادة: نقل المسافرين.
(6) الدخاتر: الأطباء حسب قول أهل الوادي.
(7) المتلبن: نوع من تمور الوادي، يابس له طعم مر.
(8) االمريس: تمر يابس مع ماء يوضع للماشية.

❖ ❖ ❖

حـيـــاة قـــائــــد

(اليمـن 1978)، قـاصـة، نـشـرت العـديد من القـصـص في الصحف والمجلات، ولها إسهامات فـي المسرح والفن التشكيلي.

قصص قصيرة جداً

بالمقابل

قالت العصفورة: سأعطيك قلبي مقابل بيتك! قالت المهرة: سأعطيك قلبي مقابل طعامك! قالت السمكة سأعطيك قلبي مقابل جسدك! قالت الزهرة: سأعطيك مائي وهوائي وضوئي وعطري.. وقلبي أيضاً.. مقابل قلبك......

الحمار

عندما كنت صغيراً كنت حماراً في كل شيء، وعندما بدأت أفهم كان أبي دائماً يقول لي: «يا حمار!»، وكانت أمي تلاحظ

حماريتي فتضربني وتصرخ: «حمار؟!»، ثم استمريت حماراً حتى دخلت المدرسة فلاحظت أن المعلم يستاء مني كثيراً ويردد: «طول عمرك حمار!»، ومع مرور الأيام شعرت بنتوء غريب يبرز في مؤخرتي، ونبت لي ذيل طويل.

الأشياء الثقيلة!!

أمرنا القبطان بأن نرمي الأشياء الثقيلة التي لم نعد بحاجة إليها حتى لا تغرق السفينة، فرمى ابني قطه المدلل، ورمت زوجتي طفلنا، ورميت أنا زوجتي.

❖ ❖ ❖

محمد اليحياني

عمان، 1964، صدر له: خرزة المشي 1995، يوم نفضت خزينة الغبار عن منامها 1998.

سليمان والطيور السوداء

في الليالي السبع التي سبقت حادثة الاختفاء، كان يرى نفس الحلم يتكرر بكامل تفاصيله كل ليلة: حبلاً من طيور سوداء ينحل وينعقد على صورة خاتم بين عينيه في طحلب السماء. وكان يراها في وضوح صاعق على ارتفاعها الشاهق تنظر إليه وتغمض عيناً وتشد حوصلاتها وتسلح عليه. كانت تشبه «المفشيش» ولكنها لم تكن مفشيشاً ولا غرياناً وكانت سوداء، وكانت كل ليلة، تنعقد بين عينيه على صورة خاتم وتنحل وتطير عالياً وتنمحي في طحلب السماء.

وكان في كل ليلة، ينهض من حلمه منقبضاً وكان يشعر كما لو أن غباراً حامضاً يعقص أمعائه، وكانت رائحة سلح الطير

تملأ رأسه ومنخريه وتملأ الغرفة. وفي كل مرة كان يحمد الله أن حبل الطيور السوداء الذي كان للتو ينعقد على هيئة خاتم بين عينيّ ثم ينظر إليّ ويشد حويصلاته ويسلح صمغه الأصفر لم يكن غير حلم. لكنه في كل مرة أيضاً وفي نفس اللحظة يندفع الغبار الحامض الذي على هيئة سائل صمغي أصفر من أمعائه عبر فمه ومنخريه ملطخاً صدره وبطنه وقدميه.

كنت في كل مرة أجلس فوق سريري، ملطخاً بالصمغ الأصفر الذي سلحته عليّ الطيور السوداء التي خلفتها ورائي في الحلم والذي كل مرة، يصعد مثل غبار حامض من أمعائي عبر فمي ومنخري، وكنت أتحسس اللزوجة في انخطاف بارد وأنا أبحلق في الفارغ اللبني لظلام الغرفة المختلط بضوء أنوار شارع «الخوير» الذي يتسلل عبر ستارة الغرفة، وكأن على رأسي الطير. ولكنني كنت أسقط مختلطاً بانخطافتي وبالظلام اللبني لفراغ الغرفة وبالصمغ الأصفر لسلح الطير وكنت أنام حين حبل الطيور السوداء يكون قد حلق عالياً وانمحى مثل ظل في طحلب السماء. وفي الليلة الثامنة التي سبقت الحادثة، كان شيئاً ما قد تبدل إذ كان «سليمان» يرتج في منامه كأن صاعقاً ينفض عظامه ويضعضعها. نهض مصعوقاً فقد كان الحلم، هذه الليلة، واضحاً إلى الحد الذي يستطيع معه تذكر رائحة عرق كل واحد منهم. كانوا ثمانية في دشاديش سوداء وكانوا حليقي الرؤوس وكانت أنوفهم طويلة ومعقوفة مثل منقار بازي، وكانت لأصابع أيديهم وأرجلهم أظلاف طويلة تشبه أظلاف التيوس

وكانوا يقفون في صفين متقابلين وكانوا يحملون رشاشات آلية صغيرة وكنت بينهم. جلس فوق سريره مخطوفاً ومختلطاً بعرقه البارد وبأنفاسه المتلاحقة وبضربات قلبه المتسارعة وكان ظلام الغرفة اللبني يبدو أكثر اتساعاً. كان الحلم هذه المرة مروعاً، لم أر في حياتي، حتى في ليالي المعتقل، حلماً بهذه الفظاعة والوضوح، وتمنيت وأنا أتناثر بينهم لو أن حبل الطيور السوداء قد انعقد حول عنقي وخنقني، لكن طيوري لم تنعقد بين عينيّ مثل خاتم ولم تنحل ولم تناور ولم تنظر إليّ ولم تشد حويصلاتها ولم تسلح صمغها الأصفر عليّ. كانت، منذ حلم الليلة السابقة، قد حلقت عالياً في طحلب السماء وتلاشت.

كانت السنوات الثلاثة الماضية التي تلت خروجه من المعتقل هي الأكثر حلكة ومرارة في حياة «سليمان»، فقد عشتها مطارداً ومراقباً ومخترقاً في كل شيء. كنت أراهم حولي في كل مكان، حبلاً من طيور سوداء تنعقد حول عنقي وتنحل وتسلح عليّ صمغها الأصفر. كان يعرف أنهم يملأون عليه «الشقة» ويضيقونها وأنهم كانوا يندسون حتى في خزانة الملابس بين الدشاديش، لأنهم قالوا أنهم يعرفون حتى عدد الدشاديش التي في خزانتي. وكنت أعرف أن لا أحد يعرف عدد الدشاديش التي لدى سوى «فاطمة». كان يهجس كنت أشعر أنهم يندسون بين رموش عيني «فاطمة». وكانت «فاطمة» هي كل من تبقى لي بعد أن انحل كل من كان حولي وتفرقوا.

تصالب على قدميه وقام ومشى في الظلام اللبني لفضاء الغرفة. دخل المطبخ، سحب ضلفة نافذة المطبخ فهبت نسمات باردة، كانت المدينة نائمة وكانت أضواء شارع «الخوير» تكشف كل شيء تحتها وورائها، كان الإسفلت نظيفاً ولامعاً، وكانت القلاع الإسمنتية لمباني الوزارات جاثمة مثل سحاب ضخمة في صمت في هدأة الفجر. زرق «سليمان» عينيه لاحساً بؤبؤيهما الصف الأمامي للسحالي الغارقة في النوم. سحب نفساً عميقاً وشعر بالراحة والهدوء ففكر في الخروج لعل هواء الصباح ينفض عنه ثقل الحلم وفظاعته. لكنه عدل عن الفكرة، من يدري لعلهم هناك ينتظرونني عند مدخل البناية. عاد إلى السرير وحاول ينام غير أن النوم بدا عصياً أكثر من أي وقت مضى. كنت أشعر أن أكياساً من الرمل تتمدد تحت جفنيّ. كنت أخاف أن آنام فريما مازالوا هناك ينتظرونني حيث تركتهم في الحلم واقفين صفين متقابلين في دشاديشهم السود وحيث كانوا يطلقون علي في تلذذ شديد من رشاشتهم الآلية. كنت بينهم، ينخلني الرصاص من الجانبين ويعصف بي. كان جسد «سليمان» منخولاً ومطوحاً، وكانوا يرتجون فوق رشاشاتهم كأنهم يقصفون جبلاً. كان جسدي قد تبعثر.

عاود «سليمان» محاولاته طلب النوم فيما كان النهار يزحف على إفريز النوافذ. تعوذ وحوقل وقرأ الفاتحة ثلاثاً ولعن الشيطان الرجيم والذين كانوا يقصفونه في الحلم، فهدأت روحه قليلاً وخف انقباضه وهجع.

وفي صباح يوم الحادثة لم تجد «فاطمة» الكتاب الذي كان «سليمان» كعادته يضع بين صفحاته مفتاح الشقة ويدسه تحت فتحة الباب. وبعد ساعتين كان الباب قد خلع ولكن «سليمان» كان قد انعقد مثل خاتم وانحل في طحلب السماء واختفى.

❖ ❖ ❖

بثينة إدريس

المدينة المنورة، أديبة وكاتبة سعودية bothyna110@hotmail.com، ص.ب 20571.

تجمع هداياه ويعاد إلى بلده

تعالت النداءات في صالة المطار تهيب بالمسافرين سرعة مغادرة الصالة باتجاه الطائرة:

- المغادرين على رحلة رقم 414 الاتجاه للبوابة رقم 4.

ازدحمت البوابة ببعض المسافرين، فيما انشغل الآخرون بمراسم وداع زوجاتهم وأبنائهم، وبازدياد الضجيج عند البوابة، تزداد نداءات التوجه للطائرة.

انحنى «فريد» يودع أصغر أبنائه «معتز» ذي السنوات الأربع، احتضنه وهو يذرف دموعاً لا تحصى، ظلت مشاعره

تتـدفق فـي حضـن ابنـه الـذي راح يـردد بصـوت مـزجـه الأسـى وخنقته الدموع:

بابا.. لماذا تسافر.. أنا أحبك وأريدك أن تبقى معي.

تهاوت قـليلاً أمنـيات «فـريـد» أمـام كلـمـات صغـيـرة حتـى أوشـك الـرضوخ لهـا، عـاد والتقـطـهـا مـن جـديـد، حـين فاق علـى نداء المغادرة يـدوي بأرجـاء الصـالـة، انسحـب من وداعـه لأبنـائه، ودموع الوداع تغطي عينيه، فلم يكن في أسرته الصغيـرة المكونة من أبنائه الثلاثة وزوجته مـن يؤيـد مشروع سـفره لخـارج بلاده، حتى «فادية» زوجته طالما رددت عليه:

لسنا بحاجة للمزيد من المال، فلدينا ما يسد حاجتنا، فقـط أكفنـا أخطبوط الشوق وليـال الفـراق المدثرة فـي ثيـاب الغربة.

و«رمـزي» ابـنـه الأوسـط قـال لـه: مـن سـيـسـأل عـنـي بالمدرسة؟ ومن يمازحني فأطرحه أرضاً؟ ومن يحلل مشاكلي؟؟

وقـالت ابنتـه الكبرى «وداد»: مـازالت حـاجتـي مستـمـرة.. سأحتاج من يأخذني للطبيب عند مرضي؟؟ ومن يحميني من وحوش الظلام؟؟

تنـاثـرت مـرة أخرى حيـرة «فـريـد» أمـام أمنـيـات أسـرتـه وتساؤلاتهم المتسللة إليه في لحظات الوداع، ففريد رجـلاً ميسور الحال،، استطاع قبل تقاعده من عمله كمستشار لإحدى

الإدارات الحكومية ببلده أن يجمع ثروة صغيرة، وتلك الثروة تسد رمقه وأبنائه، لكنه منذ رأى بعض أقربائه ومعارفه يغادرون ليعودوا محملين بالهدايا وأشياء عديدة، وفكرة السفر تراوده، حتى شجعه صديقه «سامي» عليها فاستسلم لها تماماً.

عاد الصغير «معتز» مرة أخرى يهتف:

بابا.. لا تسافر.. فأنا أحبك بحجم ألعابي..

لم يبق من الوقت ما يمكن «لفريد» أن يقضيه مع تلك الأسرة المحبة، فالنداءات في الصالة يعلو صداها على أصوات أبنائه، ورغبته بالسفر أكبر من مشاعرهم.

وأخيراً تصدى «فريد» لتلك المشاعر، رافعاً راية النصر أمامها، اجتذب نفسه من بين أبنائه وحمل حقيبته مهرولاً ليلحق بالطائرة، قبل تراجعه عن قرار السفر. لاحقته صرخات «معتز».

.. بابا.. بابا.. بابا..

ركض «معتز» وركض إخوته خلفه ليمسكوا به وهو يحاول اللحاق بأبيه، وقد ألزمت صرخاته الصالة الهدوء.

اتخذ فريد مقعده في الطائرة قرب النافذة، ليرى منظر صغيره وإخوته يمنعونه من اللحاق به، انحدرت من عينيه بقايا مشاعر لم تسكب بأرض المطار، لم يقاومها هذه المرة، بل تركها تتفوق على كبريائه وتمرده وعلى رغبات أسرته، فهي الآن أقوى

مـن تحجّـره أمـام «معتـز»، انهـار بنيـان المشـاعـر حـين أجهش بالبكاء. غادرت المطـار بأبنائهـا، يرافقهم حـزنهم ولوعـة الفراق، وفي أعماقهم تجلجل كلمات «فريد»:

سنوات وأعود... سنوات وأعود

عل تلك الكلمات تكون جسـراً للصبـر تعتليـه فـادية وصغارها، حتى يعود بعد سنواته الموعودة.

التف الصغار حول أمهم بأشباح دمع جف من مـآقيهم، وبقي منه القليل، أسندت «فـادية» رأسها على الجدار، وهي تلف حولها صغيرها «معتز» الذي قال:

ماما.. أنا حزين لسفر بابا.. هل سيعود قريباً..؟؟

قالت لتلجم حزنه: سيعود قريباً.. إن شاء الله.

أسـكتت «فـاديـة» أحاديث صـغارهـا، وطلبت منـهم النـوم مبكراً لأن غداً يوم دراسي، كانت تلك ليلة الغربة بالنسبة لأسرة «فريد»، لأنها الليلة الأولي التي ينامها منـذ سنوات مضت خارج منزله، فقد أغدقت عليهم الأيام الماضية بالحب والحنان ورغد العيـش حتـى تلبسـه شـيطـان السفر خلـف أشيـاء تُبعثر وهـدايـا تسكن أسواق البلدان.

وصلت الطـائـرة بـ «فريـد» لذلـك البلـد المدون اسـمه فـي في أوراق سـفره وأمنيـاته المسـافرة معه، ووصـل إلى سـكنـه وقد داهمتـه نـوبة مرض ألـزمته السـرير منذ يومه الأول بذلـك البـلد

الـذي لم يرتـو بعـد مـن أنهـاره، ولا يربطـه به سـوى رابـط الديـن والعروبة.

أعـاقت تلك الـنوبـة المرضيـة «فريـد» عن ممـارسـة حيـاتـه الجديدة، فلكي يطمئن زوجته على وصوله، جعل زميلاً له يكتب الرسـائل لزوجته وأبنائه نيابة عنه وحتى تماثله للشفاء.

سـارت الحيـاة بـ «فـريـد» برتم حـزين لـم تتخـلـلـه بـوادر سـعادة، فكيـف بها تـأتي وأسـرتـه بعيـدة عنـه؟؟ تـاغـمت كلمـات الشوق والحنين مع قصص العمل ومتاعب الغربة حتى استأثرت على رسـائله لزوجته وأبنائه.

تبـاً لـذلـك الـسفـر الـذي يطغـى علـى حـب الأبنـاء، ويدفـع الإنسـان ليغادر أسـرته ركضاً خلف أموال، يجمعها بغربـة الروح والوطن والأهل.

تـدور عـجلـة الـسـنوات بـ «فـريـد»، وتـلك الـطيـبة «فـاديـة» غدت هـي الأم والأب لأبنـائها تـعانقـهم بـأمومتها وتحضـنهـم بين طيات الأيام، وتعيش القدر الذي جعلها الأم والأب في آن واحد.

تـتوقـف زيارات «فـريـد» لأسـرتـه بأيـام يقـتطفـها مـن دورة الأيـام، ليـواصـل مـسيـرتـه الأسـيـرة عبـر الـرسـائل، تـواكـب زمـن الرحيل مع زمن نمـو الأبناء في مراهقتهم وفي خطوات الصغير نحو عتبات الدراسة لسنة أولى.

لم تتقطع رسـائل «فريد» لزوجته وكذلك رسـائلها والأبناء

تسافر بأشواقهم للقاء يستمر، وتعود ببعض الشوق، وكثيراً من أمنيات المستقبل الذي ستشرق شمسه عندما يعود.

لا تساوي شيئاً الأشواق والأحلام أمام بقاءه الدائم بين أطفاله العطشى لحبه وحنانه، لأبوته التي انزوت منذ سنوات مضت في بلاد الغربة..

- سنوات وأعود..

حتى أعلنت السنوات الموعودة رحيلها ليعود «فريد» إلى أسرته حسبما قال، أيام قلائل ويعود إليهم محققاً للأمنيات، محملاً بالهدايا وأشياء أخرى، وأموال تضاف لثروته الصغيرة، فيبني بقايا أحلامه في بلاده الحبيبة.

ازدهرت فرحاً نفس «فادية» وأبنائها، واتشحت قلوبهم بلباس الانتظار، المنطوية صفحاته على كؤوس فرح تروي للغائب الحبيب نظير غربة وتعب، حتى غزلت ضفائر أيامها الباقية لتلقاه بأرض ذلك المطار الذي كان شاهداً على قرار رحيله، فقد استلمت برقية تقول:

أصل مساء الخميس القادم على رحلة (420).. انتظروني.

لم ينتبه «فريد» لتلك العربة القادمة من الاتجاه الآخر، التي ارتطمت بعامود الكهرباء، حيث كان يعبر محملاً ببعض

الهدايا، وما كان ليفوق من صدمته، حتى سقط عليه ذلك العامود الذي غيبه عن الدنيا.

تمت مراسم استلام جثمانه من قبل الجهات المسؤولة في بلد الغربة وترحيله على ذات الرحلة (420) ترافقه برقية تقول:

تُجمع هداياه ويعاد إلى بلده.

في قاعة المطار داعبت الأفراح «فادية» وأبنائها الذين لم تسعهم فرحة عودة الغائب، مع هبوط الطائرة بأرض المطار، هبطت التماعة الفرح في أعين أبناء فريد، تبحث بين ركاب الطائرة عن أبيهم، وتعالى النداء في صالة الانتظار:

حرم السيد/ فريد أحمد حسين، عليها مراجعة الإدارة.

ركضت «فادية» للإدارة، وفرائص قلبها ترتعد خوفاً من ذلك النداء، فقد زاد من خوفها غياب «فريد» عن صفوف المغادرين.

ناولها الموظف البرقية، وهو يشير إلى صندوق أخذ مكانه في جانب من المطار، قائلاً:

هذه البرقية لك، وصلت مع ذلك الصندوق.

لم تحمل البرقية «لفادية» سوى بضع كلمات تقول:

«تجمع هداياه ويعاد إلى بلده».

فاطمة بنت السـراة

كاتبة وقاصة وروائية من السعودية، صدرت لها أعمال كثيرة منها: بعد المطر دائماً هناك رائحة، رواية - 2003، لا.. يدق - قصص - 1995 وغيرهما، ولها مشاركات عديدة في الصحافة المحلية.

لا يجب أن تأتي من الباب

أذكر وأنا في الثالثة عشرة من عمري، مرحلة انفجار الهرمونات، والتحول الجسدي.. مرحلة الحساسية المفرطة.. أن تغيّب معلم مادة الرياضيات في صفي، فبعثني مراقب الدور للمدير، ليعيّن من قبله معلم احتياط لصفنا - رغم أن هذا التعيين كما عرفت لاحقاً من صميم عمل المراقب، لم أجد المدير في مكتبه، كان حاضراً لتقييم إحدى حصص صفوف الكفاءة.. طرقت الباب ودخلت مستأذناً المعلم المتوتر الذي أشار برأسه محذِّراً ناحية المدير، لم أفهم إشارته.. اتجهت برهبة إلى المدير في آخر الصف، كان أمامه سجل ملاحظات كبير.. انحنيت بجذعي الناحل وكتفي المتوترة وأنا أنقل إليه طلب

المراقب، متأملاً بحذر الوجه الأبيض القاسي السمات، والملامح التركية المدينية الواضحة في الشعر ولون البشرة.. هال المدير الطلب، فأشار بحركة آمرة من يده بأن أخرج لأن طلبي ليس مكانه هنا، فخرجت متلمساً الباب، وثمانية أزواج هازئة من الأعين المراهقة التقطتها حساسيتي المفرطة آنذاك، لأربعة تلاميذ كرهتهم بشدة ذلك اليوم.. خرجت بعدها وكل خلية في جسدي ترتعش خجلاً وغضباً وسُخطاً، ولمّا قابلني مراقب الدور كدت ألكمه في صدره مرتين وثلاث، أو أركله في قدمه، أو أفعل أي شيء يخرجني من ضيقي، لكنني قلت له فقط، وبالطبع مُخفياً كل شعور لحقني بالإهانة:

- المدير غير موجود..

وبعد وقت الانصراف كنت لاأزال على تلك الحال الصعبة من الغبن والخجل، وإحساس بالظلم فظيع، فأخبرت صديقي الوحيد بما كان من المدير الذي تقريباً طردني من المكان دون ذنب، مُخفياً عنه بالطبع نظرات الاستهزاء في أعين التلاميذ الأربعة، فقال ببساطة أولاد الشارع:

(الخطأ خطأك، ما كان يجب أن تذهب برجلك إلى هناك.. لا تقل لي مراقب الدور أجبرني على الذهاب.. لفة أو لفتين في الممرات تعود بعدها لتقول له: ليس هنا، ولا هناك!).

■■■

ولمّا بلغت الخامسة عشرة كان قد تكوّن فريق كرة في حيّنا، في الملعب المقابل تماماً لبيتنا.. أرض فضاء شاسعة المسافة كانت لأبي لم تُعمر بعد.

كان اللعب يبدأ معهم بعد الرابعة والنصف عصراً، وينتهي قبل آذان المغرب بقليل، أو بالأصح ننهيه نحن قبل الآذان بسبب وجود فتيان معنا كانوا يحرصون على أداء الصلاة حاضرة في المسجد القريب.. في يوم من الأيام كنت قد انتهيت من ارتداء ملابس فريقي المميزة بلونيها الأبيض والأخضر.. اليوم بالذات ستجرى بيننا وبين فريق جديد وقوي مباراة ساخنة، منذ أسبوع ونحن نتمرن لتلك المباراة التي سترفع من شأننا في الحي إذا ما نجحنا.... وكان عند أبي ضيف ثقيل، اصطحبه بعد الصلاة إلى البيت.. أدخلت لهم الشاي عجلاً وسارعت بالذهاب، فأمرني أبي بأن أصب الشاي في الفناجين له ولضيفه.. ففعلت، ولمّا بدآ في ارتشافه انسحبت.. أطلقت ساقاي للريح حتى باب الشارع الذي توقفت عنده بتفكير خِلت أنه تفكير العاقل (ماذا لو ناداني أبي... ماذا لو طلبني، ماذا لو.... فلأستأذنه).. هكذا قررت براحة، فتحت باب الشارع، قاذفاً بالكرة لأصدقائي، طالباً منهم الانتظار، وعدت أدراجي إلى أبي وضيفه.. استأذنته وخرجت، إلا أن صوته المُنادي عليَّ أعادني إليه..

- لا تذهب.

❖ لماذا؟

سألته بتخاذل وفجيعة من الأمر والطلب، فهمهم ضيفه بكلمات عن الدراسة والفلاح والجد والاجتهاد، فوافقه أبي بهزة دَهِشة من رأسه، كيف لم يفطن لهذا الأمر!

- لكنني كتبت فروضي رغم أن غداً هو الخميس.. أنهيت كل شيء حتى أمي... تنحنح أبي بوضوح عند ورود سيرة أنثاه التي هي أمي، فسكتُّ.. كنت كاذباً في شأن كتابة الفروض فعاد ضيف أبي الذي كان عقيماً، يُحدِّث أبي بمفردات عن النشء والتربية وصعوبة سن المراهقة بالذات، سن الطيش والـ...، نسأل الله السلامة والعافية منه...

عندها قال أبي بحزم ناظراً إليّ:

- لا تذهب، قد أحتاجك هنا.

وبالطبع لم أذهب، ولم يرني أحد من أفراد الفريق طوال أسبوع كامل.

■■■

وفي منتصف مرحلة الجامعة لمع اسمي كأديب صغير، كان قد نُشر لي كتاب أدبي لاقى بعض النجاح، فتوجته بثان، لكن دار النشر طلبت تعريفاً من الجامعة بأنني أحد طلابها حتى تطبعه، فذهبت إلى مسؤول القسم الذي أطرى على مؤلفي الأول، وشجعني على الثاني، ابتسمت في خجل من مديحه، ولمّا

طلبت منه ورقة بالتعريف والختم، احمرّ وجهه، وارتبك معتذراً بأنها ليست مسؤوليته!

دُهشت!

- دكتور. أنا طالب هنا عندك!

◆ نعم، نعم. ولكنها كأول مرة ربما تكون مسؤولية أو...

تركته إلى مسؤول آخر كبير في الجامعة وأنا في دهشة من تردده، كنت قد درست عنده أحد المواد الحرة التي أحرزت فيها تقدماً ملحوظاً عنده، فصنع مثل صنيع الأول، مدح وإطراء وتشجيع وتعريف لزج بي لمن حوله عن الأديب الصغير، ثم رفض مبهم خوفاً من المسؤولية و... و

مرت أيام عليّ ودار النشر التي اختارت مؤلفي من بين عشرات تلح في طلبها، وأنا في حيرة من تردد مسؤولي الجامعة، وفي أحد الأيام التي لا أنساها مررت بقسم الدراسات العليا الذي به ثلاثة موظفين، أحدهم شاب صغير.. كان طالباً سابقاً معي في مرحلة أعلى، شاركته إحدى المواد، أهديته مؤلفي الذي أكد لي بأنه قرأه أكثر من مرة وأنه... كنت أخبره عن الجديد، وعن طلب دار النشر، ورفض المسؤولين، لكني سكت.

(ماذا سيقدم لي هذا الصغير؟).

بهذا فكرت بعد الصدمات المتتالية من الأساتذة الكبار.. الجميل أنه هو الذي بدأ بها، مربتاً على كتفي كالكبار:

- أسرع وأتحفنا بالجديد.

❖ موجود.

فلتت مني سريعة بعد انحباس أيام ثمانية، ودوخة من المسؤولين الكبار.

- بالتوفيق، لا تنسانا من الإهداء.

❖ تنقصني ورقة تعريف.

- تعريف!؟

❖ تعريف، تصديق، ورقة والسلام بها اسمي والختم، تؤكد بأنني من طلبة الجامعة.

- فقط!؟

سألني ساخراً،

- لكن الأساتذة، وأشرت برأسي إلى مكتبين، لم...

قاطعني بابتسام:

- لا عليك.. إليك الورق المطبوع، اكتب اسمك وتخصصك..

كتبت ما أملاه عليّ، على ورق الجامعة المطبوع..

ناولني الختم الخشبي الصغير:

- اختم بنفسك هنا.

تأملت كتابة الختم:

- لكنها الدراسات العليا، وأنا طالب في...

ازدادت ابتسامته:

- ألست من هذه الجامعة؟ إذاً لا تكن (ب ط ي ء اً) مثلهم.

■■■

وبعد النجاح من الجامعة صُدمنا بعدم وجود الوظائف لأغلبنا، وصُدمنا أكثر بهزال رواتب القطاع الخاص، فقررت التقدم لنيل شهادة الماجستير من الجامعة نفسها، ولأنني لم أتعلم من الدرس القديم، ولأنني - بوضوح - أحب دائماً الدخول من الباب، فقد طارت دراسة الماجستير مني ذلك العام، أو كادت أن تطير بحجة أن باب التسجيل في تخصصي قد أغلِق، وأن الأوراق رُفعت للعميد.

وبالرغم من أن التسجيل قد أغلق، والأوراق قد رُفعت، إلا أن أحد الزملاء من التخصص نفسه قد انضم إلى الاثنين المتقدمين قبلي لنيل الماجستير!!!

بعد هذا اليأس من التسجيل بثلاثة أيام فقط كنت حاضراً على عشاء إجباري مع أبي عند أحد الأعيان من المعارف.. وأثناء الكلام تداول الكبار إخبارنا نحن الشباب من حيث كثرة

عدد الخريجين كما الرز، كما وصفنا أحد المتحذلقين الذي يتقاضى راتباً فلكياً من الدولة، وعدم وجود وظائف في تخصصاتهم و... و... و....

ولمّا أتى ذِكري باعتباري أحدهم قلت بأدب وبغير حماس: للأسف. لا أمل لي في هذا العام.

وأمام الاستفسارات الباسمة أخبرهم أبي ضاحكاً عن باب التسجيل (الدوّار) الذي يُغلق ويُفتح متى شاء.. وبعد انتهاء العشاء وشرب الشاي المعطّر والتطيّب ببخور العود ودهن الطيب، والتأهب للرحيل، فوجئت بمضيفنا يقترب مني دون الكبار الآخرين الذين تسابقوا لمصافحته، هامساً لي بحنو وبأمر حزم مباشر:

- اذهب بأوراقك غداً بعد العاشرة صباحاً إلى القسم بالجامعة، واستعد لمباشرة التحصيل الجيد هذا العام للماجستير.

رفع يده مكرراً:

- لا تنس، بعد العاشرة صباحاً.

كان يعبث بمسبحته ببساطة وهو يقولها، وأمام نظرتي المستفهمة إلى حد عدم التصديق، أشار لي بأن أقترب منه أكثر، ولمّا فعلت عَرَك أذني بود قائلاً:

- عيبكم أنكم دائماً تطرقون الباب، والكبار يا بُني لا يبشوّن لِمن يطرق الباب، لا تسل لماذا لا يبشون لِمن يطرق الباب، لكن، هذا هو دَيْدن الكبار، اذهب ولا تخف.. وفقك الله.

❖ ❖ ❖

أحـــــمــــــد
المـــــؤذّن

القاص.. من مواليد المحرق 1973م، عضو أسرة أدباء وكتاب البحرين، صدر له «أنثى لا تحب المطر - قصص المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 2003م».

عسل الصورة العارية

انتصف الليل ساهراً ينافس الخمسة الجالسين قرب شارع بلا رصيف.. بدا مهجوراً وقد استنزف ثرثراتهم التافهة. انسحب واحد وتبعه آخر فتثاءب الثالث ومضى لباب سيارته واختفى في شوارع مظلمة.

اثنان، اثنان يلفهما صمت مؤقت هنا بعد تفرق الصحبة، استخرج ذو الذقن الحليق والملامح المغرورة شيئاً ما..

- هذه صورتها - خذ.. انظر.

تأكل اللهفة الآخر في لحظات تتقد عيناه جائعة ويتقلب على جمر رغبته..

- قلت لك أنا مستعد.

- لا تسوي الصفقات هكذا، عشرة دنانير الآن والعشرون الباقية بعد انتهاء السهرة!!

- موافق، الصورة أولاً الصورة.

- تعرف؟ جميلة ولا أجمل منها في البلد وهناك مزايا أخرى ستكتشفها بنفسك عندما.. (غمز بعينه اليمنى).

قبض المال واستحالت ابتسامته أكثر خبثاً، مليء بالشر والغطرسة كأنها المرة الأولى التي يقبض فيها عشرة دنانير، لا عجب فسيارته متهالكة ورثة مثله، رمادية اللون تشبه صاحبها في غموضه.

حول عينيه عنه، يتملكه الملل وسأم الانتظار، أشعل سيجارة ونفث دخانها بعصبية.

- الصورة.

- ليلة أمس غمرنا سياح عرب بكرمهم وحصلت هي على خاتم الماس من أحدهم، أفرغت من الأغبياء جيوبهم، مساكين.

- أنت تهول الأمر، أعرف لن تعطيني الصورة قبل رفع السعر!

- زبائني هم اهتمامي الأول ولكن..

- لا أبالي حتى لو دفعت راتبي كله، لا تماطل ولا توجع رأسي.

- امنح نفسك قليلاً من الهدوء، لا تتفعل هكذا سأتصل بها فأنا مجرد وسيط.

يفكر، تحترق سيجارته ويشعل أخرى يتفقد محفظته المليئة بالأوراق والفواتير، والمبلغ لا يكفي. يفكر في حل سريع فهو يريد.. يريد رؤية صورتها ومشتاق برغبة شبقة لاحتواء جسدها.

كان متقززاً وأخبر صديقه ذات مرة عن فتيات الأرصفة الأجنبيات ووصفهن بالعطر المغشوش. من أجل عصر أجسادهن المستهلكة وتقبيل شفاههن تفوح عفونة الخمر منها وبدون جمر الطراوة الصارخة لن يدفع لقاء مزيف تخفيه مساحيق وألوان الزينة، تجمل صدأهن.

كان يطلب إمرأة عشرينية تطفح جمالاً، لم تغرق بعد في بيع الجسد.

إمرأة لم تلوثها نجاسات الاحتراف، إمرأة لها نكهة خاصة (كابتشينو إيطالية)، تشبه ابتسامتها فتيات الإعلانات السمراوات الطازجات.

تضيء أزرار هاتفه الجوال الظلام المتكاثف حوله وهو يتوارى ببنطلون الجينز، يكبح نصف ابتسامة كادت ترتسم على وجهه وقال:

- تـصـور، تـسـتـخـف بـالمبـلـغ المـعـروض، لكـنـهـا وافـقـت عـلـى استضافتك في شقتها الليلة بعد تزكيتي لك.

- ...

- لا تفكر فـي المبلغ، خذ تـذوق الجمـال الحقيـقي واسـألنـي عن عسلها.

خطف الصورة ورمى سيجـارته وتفرق الـدخان متقطعاً من منـخريه، تـكاد عينـاه تسقطان، حشـرجة تمـلأ حـنجرتـه بالثقوب ومسامـير تتغـرس في أحشـائه بـلا رحمة وأحذيـة تسحق كرامته ويلطخ وجهه عري الصورة التي.. التي يعرفها جيداً!!

❖ ❖ ❖

فــــؤاد نـصـر الديـن حـــســيـن

عضو اتحاد كتاب مصر. له العديد من الأعمال القصصية.

ساعة جيب جدي

- 1 -

بدأ الشيب يغزو الرأس المثقل بالهموم، ومازلت أفكر في ساعة جيب جدي صغيرة الحجم التي توارثت عبر الأجيال حتى جاءته في الميراث، كان دائماً يمسك بها بين أصابعه، يحبها جدي ويعشقها، يطيل النظر إليها، والاستماع إلى دقاتها التي تنطلق في أوقات محددة، دقات هادئة متناغمة. يحتفظ جدي بها في جيب جلبابه، يحافظ عليها بشكل ملفت مما جعلنا نشك بأن لا شيء له في هذه الحياة سوى المحافظة على هذه الساعة التي يقول عنها إنها إحدى بنات ساعة هارون الرشيد التي أهداها إلى شارلمان الملك.

وازداد تمسكه واحتفاظه بها لدرجة رفضه التفريط فيها أثناء سنوات القحط والحرمان التي مرت عليه فلم يفكر يوماً في بيعها أو الاستغناء عنها والعيش بثمنها، وحينما عرض عليه بعض تجار التحف مبلغاً خيالياً لشرائها منه رفض رفضاً شديداً كطفل صغير يريدون سلب لعبته منه، واحتضنها في صدره كعاشق يحتضن حبيبته الجميلة. وقبيل وفاته ألقى وصيته الأخيرة على أبي بالاعتناء والمحافظة على ساعة الجيب. ساعة الأجيال المتوارثة، نفس الشيء الذي فعله جدي فعله أبي معي؛ فورثت الساعة بعدهما.

حينما جاءتني قبضت عليها يدي، وضعتها أمام عيني أتطلع إليها. أراقب تحركات ثوانيها وسير عقاربها. أستمع بشغف لدقاتها المتناغمة كالموسيقى الناعمة بين الساعة والثانية. لقد شغلتني ساعة جيب جدي كثيراً. شدتني إليها. جذبتني لدرجة أنه لا يمر يوم إلا وأصاحبها فيه متطلعاً ومستمعاً ومحافظاً.. آه لهذه الساعة سحر عجيب ما إن تورثها حتى تعشقها، فلا تستطيع الفرار من الوقوع في دائرة سحرها...

– 2 –

بدأ الشيب يغزو الرأس المثقل بالهموم في شراسة، وبدأت أفكر في توريث الساعة لأحد أبنائي كما فعل جدي مع أبي، وأبي معي.

سـألت نفسي: مَنْ أحق بها من أولادي؟ من سيعتني بها كما اعتنينـا بهـا جدي، أبـي، وأنا؟ شـغلنـي السـؤال كثيراً. أخذ منـي مأخذاً كبيراً، حاولت اختبار أولادي لمعرفة أكثرهم حباً للساعة. فوجدتهم جميعاً على درجة واحدة من عدم الاهتمام. أصابني القلق بغزارة آلمتـني، فالعمر يجري والسـاعة قـابعة فـي خـزانتي لا أعلم بعد من أحق بها.

صباحاً استيقظت من نومي والإرهاق يتساقط من جسدي. اتجهت إلى خزانتي بخطوات متهشمة. أتطلع إلى ساعة جدي كعادتي؛ فإذا بـي أصاب بـالذهـول الذي زاد مـن قسوة إرهاقـي. حملقت بعينـي من جديد داخل الخزانة غير مصدق؛ فالسـاعة التي وضعتها بنفسي داخلها، والتي كانت في قبضـة يدي. هذه السـاعة تبدلت. أصبح مكانهـا واحدة أكبر حجماً. مـددت يدي أسحبها من بطن الخـزانة. حملتها بيدي. وضـعتها فوق منضدة بالحجرة. تطلعت إليها. إنها نفسهـا؛ لكن حجمها ازداد. كيف جرى ذلـك؟ ما الـذي أصـابهـا؟ أمسكت رأسـي بيـديّ خوفاً مـن الانفجـار الذي أشـعر بقدومـه. تحركت خطوات داخل حجرتـي أبحث عـن المجهـول. أبحث عـن إجابة لـسؤالـي. رنوت ببصـري إليها فـي دهشة؛ فإذا بالدهـشة تزداد وتملأني. السـاعة وياهول ما رأيت في هذه اللحظات كبر حجمها، ونمـا عما كـانت عليه. إنهـا تزداد حجماً أمام عينـي. رعبت. أصـابني الخوف. صـرخت بـلا وعـي.. النـجدة.. الـنجدة.. الـنجدة.. لم ينـجدني أحـد. لـم

يسمعني أحد. ربما لم ينطلق صوتي من جوف جوفي. أوشكت على السقوط في بئر الجنون. الساعة تضخمت داخل الحجرة، ودقاتها أصبحت مزعجة. تصم الآذان؛ بل تكاد تطيح بالجدران في الفضاء، فنموها يزداد ثانية بثانية. لا شك سيأتي الوقت الذي لا تتحمله الحجرة، بل البيت كله. يجب إنقاذ البيت من هذا التضخم الجنوني. فجأة انفجر البيت وتحولت ساعة جيب جدي إلى حيوان خرافي ضخم. فجّر البيت منطلقاً نحو الشارع يلتهم كل من يقابله من ناس، أشجار، سيارات، وحيوانات. لم يدع شيئاً إلا وأتى عليه. حول المدينة إلى خراب مدمر.. انتبهت لنفسي. استيقظت من غفلتي. احتضنت الساعة في صدري. خرجت بها من الشقة بحذر شديد، ثم عبرت الأبواب بصعوبة. انطلقت للخارج. حملت الساعة فوق كتفي لأتمكن من السير بها. توقف المارة بالطريق يتطلعون إليّ في دهشة. تعجبوا لكبر الساعة وحجمها. ظن البعض أنني سارق إحدى ساعات الميادين العامة. سمعتها بأذني.. الرجل سرق ساعة الميدان. أنقذتني التهمة من السقوط في بئر الجنون. ماذا لو وضعتها فعلاً في إحدى الميادين القريبة لتكون في الفراغ الفضائي ويستفيد بها كل الأهالي. ثم أقوم أنا بالتردد عليها وزيارتها يومياً؛ فلن أودعها وأرحل. سأعود إليها دائماً. الوصية يجب تنفيذها. المحافظة والاعتناء بساعة الأجداد المتوارثة. لكن أين أضع الساعة التي تنمو فوق كتفي؟ لا مكان لها الآن. هل أظل أبحث في الشوارع والطرقات عن مكان أضعها فيه. سألفت نظر

النـاس والمارة يحملها فوق كتفي مثلما لفت نظر بعضهم. الآن يجب المحافظة على الساعة بعض الوقت في مكان آمن حتى أعثر على المكان المناسب لها. أين أضعها إذاً؟ فكرت قليلاً ثم تذكرت سطح منزلنا. أسرعت نحو البيت والساعة لاتزال فوق كتفي تنمو. دخلت بها من باب العمارة. صعدت الدرجات بصعوبة؛ فكثيراً ما كانت تتخبط بالجدران. وصلت لأعلى العمارة. فوق السطح. الفراغ كبير. لا شيء هنا سوى السماء والهواء وطبق الدش. أنزلت الساعة برفق. وضعتها وسط السطح، ثم جلست جوارها أسترد أنفاسي الضائعة. ماذا أفعل يا الله في هذا الميراث الجنوني؟

جاءتني فكرة. ماذا لو كتبت رسالة إلى حاكم المدينة أخبره بامتلاكي لأكبر ساعة بالمدينة، ورغبتني بالتبرع بها كيما توضع في أحد الميادين.

أسرعت إلى حجرتي أكتب الرسالة. دقت الساعة فجأة دقاتها المدوية في الفضاء الواسع؛ فخرج بعض الناس يتساءلون عن الرنين العظيم...

- 3 -

صباح اليوم التالي صعدت إلى سطح العمارة لرؤية ساعتي والاطمئنان عليها. التضخم زاد بشكل لا يصدقه عقل. هبطت الدرجات مسرعاً لتوصيل رسالتي إلى حاكم المدينة الذي

سـرعـان مـا استمـع إلـيّ بشـغـف. ثـم بـفـرحـة غـامـرة ثـم أرسـل مساعديه لمشاهـدة الساعة وكتابة تقرير عـاجل إليه. خـرج معي بعـض الموظفـين وهـم يتعجبـون لحـديـثـي مـع حـاكـم المـديـنـة واهتمامه بهذه الساعة التي لا تعدو عن كونها ساعة كأي ساعة أخرى. وما الفرق والساعات في المدينـة ذات أشكال وأحجام مختلفة؟ قاد أحدهم السيارة الحكومية متجهاً حيث أوجهه إلى بيتي. وأمام الباب الرئيسي للبيت وقفت السيـارة، ثم هبطنا من أبوابها وصعدت بهم إلى السطح ليروا ساعة جيب جدي التي أصابتهم بالذهول فطافوا حولها متطلعين في إعجاب، ثم أسرعوا إلى مبنى الحاكم لتقديم تقريرهم إليه. وما هـي إلا دقائق حتى أصدر أمره السامي بنقل الساعة من البيت إلى أحد الميادين العامة، فعاد مساعدوه مرة أخرى، ومعهم العمال فوق سيارة نقل كبيرة سرعان ما انطلقوا في عملهم بربط الساعة بحبال طويلة في مهارة وإتقان، ثم حملوها إلى حافة سور السطح، وأدلوا بها من أعلى العمارة إلى الشارع حيث بقية العمال الذين استقبلوها فوق السيارة النقل التي انطلقت إلى مبنى الحاكم الذي رأى الساعة فوق السيارة عبر نافذة مكتبه فازداد تعجباً لمنظرها، فأصدر أمره الفوري بوضع الساعة في أكبر ميادين المدينة. ميدان المحطة. استدعى المسؤولون ونش بلدية المدينة لرفع الساعة ووضعها بمساعدة العمال فوق عامود صخري يقف منتصباً داخل الحديقة الدائرية أمام باب محطة السكك الحديدية.

رميت بنظري صوب العامود الأثري الذي أقيم في ميدان المحطة ذكرى لنهاية الحرب التي كانت بيننا وبين الأعداء. صعد النظر إلى أعلى. إلى العامود الصخري. أنسب مكان توضع فيه الساعة. عُلقت ساعة جيب جدي بالحبال في بومة الونش الذي رفعها عالياً إلى أعلى العامود حيث قبعت فوق قمته في استرخاء. فجأة جاءت سيارة الحاكم. وقفت قرب الحديقة. أطل الحاكم منها تجاه الساعة القابعة فوق رأس العامود تدق دقاتها التي ملأت فضاء الميدان. ابتسم الحاكم فرحاً صادراً الأوامر العليا لمعاونيه بإعادة تجديد حديقة الميدان وسرعة الإعلان في الصحف والإذاعات المسموعة والمرئية عن افتتاح الحديقة في ذكرى يوم الاستقلال. انتشر المختصون من مهندسين وفنيين وعمال يعملون في تخطيط الميدان وإعادة زراعة حديقته، بالإضافة لدهان المباني المحيطة بالميدان خاصة مبنى سكك حديد المدينة.

– 4 –

لم ينس حاكم المدينة دعوتي الخاصة لحضور الافتتاح الذي شرّفني فيه بإطلاق اسمي على أحد الشوارع الصغيرة المتصلة بالميدان بعد خطبة عصماء عن الوطنية والشجاعة والعمل من أجل رفع هامة البلاد عالياً وكلام كثير ليس له معنى عن واجبات المواطنين تجاه وطنهم الأم. ثم قلدني وساماً وسلمني مفتاح المدينة وأعلن اسمي على الشارع شارع حسن

الساعاتي. ثم قام بقص الشريط الحريري إيذاناً بالافتتاح الجديد لميدان ساعة المحطة وسط تصفيق الجماهير المحتشدة حول الميدان. هنا دقت الساعة دقاتها الراقصة في الفضاء الواسع فرحاً وسروراً مع فرح الناس الذين صفقوا في نشوى وسعادة.

أحسست أنا أيضاً بالسعادة لسعادة كل هؤلاء الناس لمحافظة الدولة على ساعة جيب جدي بأحسن وضع. لو كان جدي حياً لرضي بما فعلته تجاه ساعته، كذلك أبي الذي أراه يصافحني محتضناً في فخر واعتزاز؛ فهو يحب خدمة الناس وتقديم كل ما يفيد الجماهير. ساعتك يا أبي تخدم الجماهير؛ فكل الأنظار تتطلع إليها لمعرفة الوقت، وكل الأذان تستمع لدقاتها، وها هي أضافت لميدان المحطة جمالاً جديداً ورونقاً بهيجاً. ولم يلاحظ الناس بداية عند وضعها فوق العامود الصخري وسط ميدان المحطة نمو الساعة لأنها كانت تنمو في هدوء.

- 5 -

في الصباح الباكر عدت إليها في زيارة اطمئنان. من البعيد استطاعت عيني رؤية الساعة فوق النصب الشامخ. دقات الثواني وتحركات العقارب تصدر نغمات يسمعها كل من في الميدان من ركاب المواصلات العامة والخاصة والبائعين وأصحاب المحال التجارية وقد استطاع بعض الناس اكتشاف

تزايد حجم الساعة يوماً بعد يوم؛ فأصبحت حديث المدينة الذي وصل بعضه إلى الصحفيين الذين جاءوا لمراقبتها وملاحظة نموها ليكتبوا عنها في الصحافة العالمية، مما دفع الوفود إلى ميدان المحطة للتطلع إليها، جاءوا بكاميراتهم يلتقطون صورها ويحسبون نموها، ووضعت ساعة جيب جدي في برامج الشركات السياحية ضمن المعالم الأثرية والسياحية بالمدينة.

نصبت الخيام في حديقة الميدان للذين يريدون مراقبة حجم النمو اليومي فعمت الفوضى بالميدان مما استدعيت قوات الأمن للمجيء؛ لكنها فشلت في تنظيم الجماهير، ففرقتهم بعيداً عن الميدان. ثم صدرت البيانات والمنشورات والأحاديث الإذاعية عن هذه الساعة السحرية،. وأجرت أجهزة الإعلام اللقاءات معي حيث انصبت معظم أحاديثهم عن السيرة الذاتية لهذه الساعة. كيف حصلت عليها؟ متى بدأت في النمو؟

قابلت كل من أراد مقابلتي وأجبت على كل الأسئلة بقدر معرفتي وعلمي. لم أكذب في أحاديثي الصحفية والإذاعية كما يفعل الفنانون المشهورون. لقد قلت كل الصدق. وصدرت الصحف المسائية والصباحية متصدرة صفحاتها الأولى صورتي بأحجام مختلفة جوار ساعة جيب جدي بميدان المحطة. رأيت نفسي على شاشات التلفاز فبدأ الناس في المدينة يحفظون صورتي. كلما ذهبت إلى أي مكان يشيرون بأصابعهم نحوي

صائحين باسمي. حسن الساعاتي. حسن الساعاتي. أي مجد وأي شهرة أهديتها ليّ يا أبي حينما ملكتني ساعة جدي المدهشة.

– 6 –

بعد أسابيع بدأت الشكوى من الساعة تتصدر الصحف. أرسل الناس الشكاوى إلى المسؤولين عما أصابهم من أذى ساعة ميدان المحطة؛ فدقاتها المدوية تكاد تصم الآذان حين تنطلق معلنة عن الوقت. دقاتها أكثر قوة من انطلاقات مدفع، تحركات الثواني يمنع الناس من النوم بسبب دقها المنتظم بقوة. وكثرت طلبات الصيدليات لأدوية علاج الأذن والصداع والمهدئات والمنومات. كما اشتكى المسؤولون من الساعة التي تتضخم في السماء فتحجب الشمس عن المدينة. هنالك وقع الحاكم في بحيرة الحيرة لحجب الشمس ومنع الضوء والضياء وإغراق المدينة في الظلام. ذهبت إلى ساعة جدي أتطلع إليها فلم أستطع النظر واقفاً. اضطررت للنوم على ظهري فوق الأرض لمراقبة الساعة جيداً. إنها كبيرة جداً. أكبر من كل شيء في الفضاء. لقد أصبحت المدينة تعيش تحت مظلة الساعة فانطلقت أحاديث الناس والإذاعات ووكالات الأنباء العالمية تتحدث عن المدينة الغارقة في ظلام ساعة ميدان المحطة طالبين بعودة الشمس للمدينة وإزالة الضوضاء والإزعاج الذي تسببه الساعة للأهالي من جراء صوت رنين جرسها وسير

ثوانيها. وحفاظاً على البيئة من التلوث السمعي. وموت الحياة للظلام الدائم للمدينة. اتخذت الشرطة قراراً بمنع الناس من الاقتراب من ميدان المحطة حفاظاً على حياتهم. واجتمعت الهيئات الرسمية، مجلس الوزراء البرلمان، مجلس الشورى، والمجلس الشعبي لوضع حل لهذه المشكلة؛ فاستطاعوا الاتفاق على اتخاذ قرار واحد بإزالة الساعة من ميدان المحطة والتخلص منها. أصابني الهم لقرار المسؤولين ومندوبي حماية البيئة فهبطت دموعي حزناً على ساعة جدي.

ترى ما الذي سيفعله جدي حينما يعلم بأنني تسببت في إهانة ساعته وفشلي في المحافظة عليها كما أوصاني أبي. قررت الإقامة في شارع حسن الساعاتي فوق الأرض لا أغادرها. أراقب الساعة في كل ثواني حياتها، وأرى ما سيفعله الحاكم تجاهها. الوقت يمر والساعة تزيد من غطائها فوق المدينة فيزداد ظلامها، ويزداد رنينها قوة؛ فلم أستطع المكوث بالقرب منها. أصابني القلق والتوتر العصبي فانطلقت صرخاتي في شوارع الميدان لا أدري عن أي شيء أصرخ؛ فأنا لا أسمع صوتي من قوة صوت دقات الساعة. سرت بحذاء الحديقة. طفت حولها. رأيت رجال الأمن يحيطون بالميدان يقودهم حاكم المدينة الغاضب. رأيت أيضاً مدفعاً تجره الخيول يوجهه الجنود ناحية الساعة فوق عامودها الصخري. دق قلبي دقات كثيرة أكثر قوة من قوة دقات الساعة. أسرعت ناحية الحاكم منعني رجال الأمن. صرخت فيهم. أنا حسن الساعاتي

أريد مقـابلة مولانا حـاكم المدينة. سـمعني مـن على البعـد فأشـار لـهم بإصبعـه هـرولت إليـه. سألـته عمـا سيفعلـه بسـاعتي. هـز رأسـه أسـفاً دون أن ينبس بكلمـة ثم ابتعـد مع رجـاله بعيـداً عن الحـديقة. وصـدرت الأوامـر مـن خـلال مكبـرات الصـوت بإبعـاد النـاس عن الميـدان وغلـق باب محطـة السـكك الحـديدية لعـدم خروج المسافرين في هـذا الوقـت حرصـاً على سـلامتهم. ظللت بـالحـديقـة أتـابع مـا يجري فـي ذهـول قـاتـل وضعـوا قريبـاً مـن العـامود الصـخري. ظل ثـلاثة رجـال من قـوات الأمـن بخـوذاتهم ودروعهـم وملابسهـم الآمنـة جوار المـدفع. ولا شـيء آخر سـواي. عمّروا المدفـع بإحـدى الطلـقات. بـدأوا تصـويب قـذيفـتهـم صوب السـاعـة. أسـرعـت إليـهم. سـألتهـم فـي بلاهـة عمـا سيفعلونـه. أخبرنـي أحـدهـم فـي شمـاتـة.. تفجيـر سـاعـة ميـدان المحطـة للتخلص منها حرصاً على سلامة الأهـالي.

صرخت في جنون رافضاً مـا يفعلونه. اقتربت من المـدفع. حـاولوا إبعادي، لـكـي تشبثت بمكانـي أمـام المدفـع أسـد فوهتـه بجسدي منعاً لإطلاق أي قذيفة ناحية الساعة. احتضنت المدفع بقـوة ورجـال الأمـن يحـاولـون إزاحتـي عنـه وأنـا أرفض صـارخاً بأعلى صوتي.. النجدة يا جدي...

❖ ❖ ❖

عبدالسلام الحميد

لـه الـعـديـد مـن الأعـمـال القصصية.

البخيل

توقف أمام محل التموينات المجاور لمنزله في الحي الراقي الذي يسميه بعض الخبثاء حي (البرجوازيين).. ترجل من سيارته الأوروبية الفارهة، تصاحبه طفلته الوحيدة.. هو يحب قضاء يوم الخميس في التسوق بصحبة نورة بدلاً من تكليف السائق بإحضار مستلزمات المنزل التموينية كي يمضي أطول وقت ممكن مع طفلته الأثيرة، ويعوضها عن غيابه طوال أيام الأسبوع التي يمضيها في متابعة أعماله الكثيرة وشركاته الناجحة.

اشترى ما يكفي المنزل من المواد التموينية لمدة أسبوع واحد

فقط لأنه يحب كل شيء طازجاً، إضافة إلى أنه لا يريد تخريب جدوله للتسوق نهاية كل أسبوع.

عرَّج على قسم ألعاب الأطفال، واشترى لطفلته العديد منها، واتجها سوياً إلى المحاسب كي يدفع الحساب.. عند المحاسب لفت نظر نورة ذلك الرف المليء بأنواع الحلويات فصرخت:

- يبه.. يبه.. أبي حلاو.. والله يخليك أبي حلاو.

تجاهلها وأكمل عد النقود، فعاودت الصراخ:

- تكفي يبه لو حلاوة وحدة.

دخلت في نوبة هستيرية مفاجئة من البكاء والصراخ حينما حاول تهدئتها، فتجمع الناس من حوله.. زبائن المحل والعاملون فيه.. بعض الفضوليين الجاهزين دوماً لمشاهدة التجمهر.. كان بينهم أحد جيرانه الذي قال لرفيق معه:

- شف النذل على كثر ما ربي أعطاه بخل على بنته بحلاوة!

علق الآخر شامتاً:

- سيارته بنص مليون وما يبي يشتري حلاوة بنص ريال!

- الله لا يشحذنا إلا بطاعته.

قالها أحد كبار السن من الحاضرين فرمى الأكياس من يديه. وحمل الطفلة وهو يضمها إلى صدره مغادراً المحل، وركب

سيارتـه.. عنـدما صـفق بـاب السـيـارة، وتأكـد لـه أنـه صـار بعيـداً عـن الجـمـع، أغـرقـت عـينـاه الـدمـوع، وهـو يـربـت عـلـى طفـلـتـه الـغـاضـبـة، يـهـدئـهـا فـي حنـان جـارف، وقـلبـه يكـاد يقـفـز مـن بـين ضلوعه.

كان يود لو صرخ فيهم قائلاً:

- نورة فيها سُكر.

ولم يستطع.

❖ ❖ ❖

حسن الشيخ

(السعودية)، أصدر رواية ومجموعتين قصصيتين: ولادة فارس قبيلة المطاريد (1998)، احتفاء قدوسة (1999).

رجوع صبران

لا يدري على وجه التحديد، لماذا عاد، إلا أنه عاد محملاً بالوله الكالح. الوله الذي داسته أخفاف القوافل، وحوافر الخيل.

وقف صامتاً متأملاً. بينما راحت ناقته التي أنهكها الرحيل والشوق، تقضم بعضاً من حشائش برية، لها لون الأوجاع. لم تبد الناقة انفعالاً يذكر، وكأنها تجاهلت الصخب الذي صدر من غير توقع، ولم تلتفت لتغريد النساء البدويات التي تعرف كل واحدة منهن.

كان الموقف يوحي بالانفجار. شيء ما قد يقع في أي لحظة دون مقدمات تذكر، ودون حاجة إلى بداية معلومة.

ضيّق صبـران لثـامـه. حدّق فـي الأفـق تـارة، ثـم حدّق فـي الخيـام المتنـاثـرة هنـا وهنـاك، بـدا مضـطـربـاً شيئـاً مـا، إلا أنـه استطـاع إخفـاءه، بنـظرة عميقة مـن عينين قـد هدهـمـا الـرحيـل والـبعـد. التفت صبـران إلـى خيـمـة هنـاك. خيـمة أنـوار. تسـاءل! هـل ينـاديهـا. أيـن أنـوار. هـمّ بـرفـع صـوتـه. إلا أنـه تـراجـع وبقـي واقفاً.

(هـل ستنتقـم أنـوار منـي؟ هـل ستغـرز خنجـراً لامعـاً فـي صدري وتبتسم؟ الثأر هو مهر أنوار، الذي لن يتحقق إلا بموتي. هل نست أنوار حبنا العذري، حبنا البدوي الصافي. لا أدري).

رفـع عينيه وهو لـم يزل متلثماً. واضعاً بنـدقية صيـده خلف كتفـه. رأى مجمـوعـة مـن الـرجال قـد أحـاطـت بنـاقتـه، بصـمت حذر.

لم يتحرك، بينما تكاثر الحشد بهدوء وترقب، وسادت فترة صمت قصيرة، تخللتها (نحنحات) الرجال، وهمس النسوة.

أراد صبـران أن يفـك لثـامـه، ويتـحـدث. إلا أنـه تراجـع، فكـر فـي شـيء آخر.

(ناقتـي تلك هـي الـتي تستطيع أن تفـهمني! لا أحـد سـواهـا. ناقتـي حميدة الـي حملتنـي إلـى فضـاءات الصحاري، دون كلل أو تبـرم، تحكي لـي برغـائها حكايتها مـع الرمل والعشب. وتـشتكي

أحياناً لكن دون تذمر مزعج مـن عطشها . أسبوعان قد مرا دون ماء. صبورة على الظمأ، بينما أنا أستحلب من ضرعها اللبن).

تطلـع من جديد للحشـد الصغير. تـطلع باستغـراب ودهشـة، إلا أنـه فكر فـي أنوار. هـل وقفـت بـين الـنسـوة، متـخفيـة خلـف (برقعها). يتمنى أن يسمعه رجال القبيلة، نساؤها، أنوار أيضاً.

قال له عمه زيدان يوماً :

- اسمعني يـا صبـران، هـذه الناقـة لأبيـك. أنت قد تحـتاجهـا في سفرك هذا.

ثم أضاف بنبرة بها شيء من العطف:

- لـم تزل صغيراً يـا صبـران، ولكنـها عـادات الـقبيلـة، لابد مـن اعتزال القبيلة سنوات عشر.

ولـم يجب يومهـا صبـران علـى عمـه الـشيخ زيـدان. إلا أنـه تطلع الآن فلم يجده بين الواقفين.

عنـدما عـاد صبـران على ناقته حميـدة، في تـلك الـظهيرة، كانت فـي صدره علّة، سـببتهـا سنوات التـرحال الطوال، والحـنين إلى أنوار.

أما الرجـال الذين التفوا حوله، أبنـاء عمومتـه. فقد تطلعوا غيـر مصدقـين بعودتـه، ظنوا أنه لـن يعود. وأن جفـاف الصـحراء وحرارتها كافيان لحتفه.

نظروا بحيرة متعجبة. فقد سبب غيابه الطويل مزيداً من الإحساس بالذنب، والشعور بالخجل. إلا أنهم رغم ذلك مجبرون لتنفيذ حكم القبيلة، بإبعاده عن مضاربها، لإثم لم يرتكبه قط هذا الإحساس الذي داهم رجال القبيلة، والنشيج المنقطع بين النسوة، ما كان يتم بتلك الاحتفالية الصعبة، لولا هيئة صبران. لم يكن يحتاجون لأن يضع لثامه عن وجهه، كما لم يكن يحتاجون لأن يتحدث لكي يعرفوه، طلعته المهيبة كانت كافية.

هيئة صبران التي بها شيء من البؤس، والإنكسار، اللذين يأنفان التذلل، حوّلت الاستقبال التلقائي لصبران، إلى احتفالية جنائزية، أشعلت الصحراء بدمع له طعم التراب المبتل.

حميدة، لم تعرف الشبع، ولسنوات طويلة، لكنها حين تشبع في تلك الأيام الربيعية القليلة، فإنها (تبرك) وتجتر بهدوء، بينما تحدق بانكسار في الصحراء البعيدة وعندما ترغب في النوم، تتوقف عن الاجترار، وتمد عنقها برضى على الأرض وتنام.

قالت أنوار وفي صوتها شيء من المرارة والخجل:

- ستظل مطارداً، بعيداً، عن الديار بذنب لم ترتكبه.

- سأعود يوماً ما. كما أخرج الآن، فهل تعدينني بالانتظار؟

ثم أضاف قبل أن تجيب وبشيء من الانكسار والحكمة:

- الانتظار مرارة، وقدر، مكتوب على جبينا، لا أنا ولا أنت لنا خيار في دفع المكتوب. هذا ذنب لم أذنبه، وخطأ لم أرتكبه. ولكني أتحمل وزره بالنفي من الديار عنك. إلا أنني لن أنساك.

- صبران.. يا ابن خالتي، تعال نفضي بحكاياتنا لهذا القمر التائه، نجعله شاهداً على مأساتنا.

قالت ذلك وأحست بأن كلماتها ليست معبرة بدقة، عما قصدته. رغبت في معاودة القول من جديد، إلا أنها ارتبكت ففضلت الصمت.

نزع صبران لثامه، اتسعت حدقات العيون، وتطلع الرجال بفضول وغرابة ودهشة في وجه صبران. تطلعوا دون أن تنفرج لهم شفاه. كان الموقف صعباً. احتفال جنائزي. لم تسعف أحداً منهم الكلمات المناسبة لقولها. حامد وفريد، رفيقا الطفولة، كانا بين الحشد الصغير إلا أنهما لم يتحدثا أيضاً.

قال له عمه زيدان قبل رحيله أشياء عديدة. استمر عمه زيدان يوصيه بنفسه وبناقته، تحدث معه عن أبيه وذكرياتهما القديمة. تحدث في اليومين الأخيرين عن أشياء غامضة، حتى بدا وكأنه يهذي. قال:

- تذكر يا بني بأننا أهل ضرع. فعليك بألبان الناقة وأبوالها،

فإنه دواء للذربة. أما مزودتك فلا تجعلها تفرغ من الزاد أبداً. خذ عباءة الصوف هذه، ستحتاجها ليس لبرد الصحراء فقط، بل للفيحها الحار أيضاً. ضعها الآن خلف الشداد، لتجلس عليها، إن إرّقال الناقة الدائم، لأمر مؤلم لك. أما إذا تعبت عن المسير، فأنخ الناقة. ولا تبتعد عن مبرك الناقة، فإن للصحراء غضبها الذي قد لا يمكن التنبؤ به. وضع بندقيتك تحت رأسك، ونم نومة الذئب.

هذا ما قاله له عمه زيدان. ليس هذا ما قاله له بالدقة، ولكن شيئاً يشبهه إلى حد بعيد. لا يتذكر الآن الكلمات بذاتها، فقلبه رغم هدوئه على ناقته، يخفق بشدة. يجول بعينيه بهدوء، يبحث عن والدته، يبحث عن أنوار فلا يجدهما، فتنتابه غصة موجعة من الداخل لو برزت له واحدة منهما لتغير الموقف الآن. لكان ترجل من ناقته، وأخذهما بالحضن، لانقلب الموقف إلى فرحة حقيقية بالعودة. إلا أن الصمت الغامض، هو ما يسود الآن.

تساءل. ناقته حميدة، يمكنها أن تدرك ما يرغب في قوله الآن. حميدة فقط، ربما أنوار أيضاً. لكن حميدة، وخلال السنوات الخمس الطويلة، عايشت همومه، وصحته، وآلامه، وحدها حميدة مرت بتلك التجربة المرة، التي عايشها هو يتذكر بوضوح ساعات الخوف التي تتملكهما، حين تعبر الصحراء عن

غضبها. فالصحراء لها قوانينها الغامضة، الموحشة، والتي تخالف فيها قوانين الطبيعة. يتذكر جيداً ذلك اليوم الذي هبت فيه رياح (السموم) العنيفة. تلك الرياح المحملة بالتراب، لا بل بالكثبان الرملية الحارة. حينها لم يستطع المقاومة، ولا حتى حميدة، رغم قوتها وصبرها، لم تملك سوى إغماض عينيها، والرغاء بحزن وألم. رغاؤها كمن يطلب النجدة إلا أنه وبعد ذلك تحول الرغاء إلى حشرجة داخلية. امتلأ فمها بالتراب، فعانقها وارتميا أرضاً. استمرت العاصفة، لأكثر من يومين بلا هوادة. الخوف سيطر عليهما. فلم يقويا حتى على البكاء. الذهول سيطر على ذلك الموقف. كل ما كان يتذكره أن الكثبان الرملية قد غطتهما تماماً. فقدا القدرة على التنفس، فقدا الوعي لوقت طويل، وعندما أفاقا، بدا وكأنهما يخرجان من قبر.

أما عندما وقفت العاصفة، ونهضت حميدة، فقد بدا عليهما التعب والإجهاد، كانت بحاجة شديدة إلى الماء. لكنها لم تشرب. بل تركته يرتوي. وسارت بصمت وهدوء. وعند غدير صغير، توقفت وشربت حتى ارتوت، ثم بركت وانبطحت، تمرغت على التراب بسعادة. لا يدري لماذا تمر كل تلك الذكريات المرة الآن، وبسرعة. كل ما يطلبه بعد الرحيل الطويل، هو الصفح. إلا أن الوجوه ليست هي الوجوه التي خلفها وراءه. وحتى مع تكاثر الحشد الصغير، لم تلح له أمه، ولا أنوار، ولا

عمه زيدان. إخوانه الصغار لا يتذكر وجوههم الآن. لكن الديار ذاتها، إلا أن الذكريات أشد وضوحاً.

الأمراض التي داهمته، داهمت حميدة أيضاً. فكثرة المشي والترحال أصابها بالحفا. لم تكن تتألم، إلا أن عرجها دلته على إصابتها. نزل تفحص أخفافها، فلاحظ دوائر حمراء مرسومة عليها. لقد تلاشت تلك الطبقة الخشنة الواقية لبطن الخف. نظرت حميدة إليه نظرة شاكية فأناخها، لكنها استلقت.

تطلع حوله حائراً مستفسراً. أخذ شيئاً من (الجاعد) من فوق (الشداد) فرقّع أخفافها. قال بفخر بعد أن أخذ نفساً عميقاً.

- تلك الناقة الشعلاء، لا تتعب من المشي.

هم بالنزول من الناقة لكي يفتح باعه، للأهل، للأحبة. وينسى الماضي. إلا أن دوي طلقة غاضبة، صدرت من الحشد، لتستقر في صدر صبران.

حدث ذلك بشكل سريع. وبفجأة مؤلمة. لم يكن صبران، ولا حتى ذلك الحشد مستعداً لها. حينها سقط صبران على الأرض. وبصورة أقرب إلى الخيال، منها إلى الحقيقة، حدّق بعينين دامعتين، قد علق بهما التراب، إلى الحشد تارة، وإلى حميدة تارة أخرى، ثم همهم بكلمات لم تكن تسمع.

ثم انحبست الكلمات، وبقي شيء من الدم المتخثر على الوجه واليدين. بينما بركت حميدة إلى جانبه، نظرت إليه تارة وإلى الحشد تارة أخرى، نظرة استفهام مروعة.

❖ ❖ ❖

خــالــد
مــحــمــد
بــاطــرفــي

(السعودية). له العديد من الأعمال القصصية.

ليلة مطر

كانت المدينة تخفق بالريح وتئن بالظلام. وكانت الأضواء القلية في الأفق الليلكي المهيب تعانق المساء ثم تغرق على شاطئ البحر المغسول بمطر متقطع يهطل تارة حى تخال أبراج السماء فتحت سيلاً غامراً، ثم تهدأ وكأنما خمدت أنفاسها، وكأنما سيمفونية هدأ لحنها بعد علو عظيم حتى استحالت همساً عاشقاً وبوحاً رهيفاً.

❖ ❖ ❖

على خلفية هذا الجنون الشاعري الغريب بدا إيقاع خطوها مهيباً وهي تقرع بحذائها صفحة اللسان الخشبي

الممتـد عبر ميـاه المحيـط والمطوق بـزوارق الصيـد الخشـبيـة المتأرجحـة على موج بهيج تارة حتى تقول جن، ويهدأ حتـى تظنه حكيم، وظـلالـهـا مـن وراء مصـابيح الـغـاز المعلقـة علـى مقهـى الشـاطئ اليـتيـم بـدت أكثر هيبـة وهـي تتـأرجح بـين اسـتطـالـة وقصر، رعشة وثبات، حضور وغياب.

❖ ❖ ❖

وقـفـت بـلا وعـي، وكـأنـي فـي حضـرة قـاض بـيـده تـقـريـر المصير، ونظـرت إليهـا لوحة تجـريدية رسـمت علـى خلفيـة لونيـة داكنـة – مضيئـة، ساكنـة – صـارخـة، شعرهـا الطـويل بدا كأشرعـة تقـلـت على مـركب يخترق العـاصفـة. ووجـهها المضـاء من جـانب بمصابيح الأرض، ومـن آخر بمصـباح السـمـاء بـدا وكـأنـه لبـطلـة أسطورة إغريقيـة خرجت للتو مـن مغـارة الغيـب أو عروس بـحر صعـدت بالكـاد من كهوف المحيط، أو كنجـمة عاشـق هطلت من أبراج السماء.

❖ ❖ ❖

قـامتـهـا تـطـل مـن عليـاء، وشـعـرهـا جنـاحـي مـلاك غـامـر، مهيـب. وعلى خصـرهـا تلاقت أحـزمة من حريـر على حريـر. أما عيناها فعبقرية الطفولة والبلوغ التقتا في بحيرتين واسعتين من الزرقة والماء.. سهلـتين حتى العوم، وعميقتين حتـى الغرق. وعلى جبـين النور اختلطت شعيرات حائرات من رماد الخوف والـشك ببياض الأمن واليـقين. وتقوسـت حواجب وترية لتمتطيها سـهام

رمش حاد طويل. من بعدها استقام سيف أنف أبي، فخور، جميل، وبدت عدة الحرب وكأنما لتدفع العطاشى عن وجه اجتلب للتو من الدنيا رونقها، ومن الأقدار شفقها، ومن الصبا ورد فجر ندي كحيل. ثم.. ثم كأن خلاصة الربيع على خديها واعدت مغرب الدنا الدامي ومشرقها الواعد في كأسي شفتيها. هول الفتنة فاجأتني فارتجفت، وأشجاني فأدمعت، وأربكني فسكت.

❖ ❖ ❖

تلفتت ملكة الليل والبحر والمطر بحيرة من يقلب الرأي في شأن رعية. نظرت إليّ بعزة من يعطي ويمن، ثم قالت بخليط من «الغيظ» و«التحدي» و«الفضول»: أنت!.. ماذا تفعل هنا؟ زادني صوتها العذب ولها، تأملته لوهلة ثم استوعبت ما يحمله وقلت: أرقب البحر. قالت وقد ارتدى ناعم الصوت سخرية وعجب: وماذا في ظلام البحر يا أنت لترقبه؟ قلت بآهة مستورة إلا عن يتيم متيم، وقد سرحت عيني إلى البحر قبل أن تندم فتعود إليها: ما لا أرى، ما لست أدري، ما قد تجيء به الأقدار أو لا يجيء، ارتادت الصمت المحتار مرة أخرى وسرحت وراء أفق الليل وكأنما تبحث عما أرقب وأنتظر. ثم عادت بخواطرها إليّ وقد بللنا الليل المطير برذاذ ترتج به ريح تزف إلينا غياهب المحيط، وبدا وكأنما فهمت أو تكاد. هدأت لهجة التحدي في صوتها، وتبدت فيه أنوثة أكثر تحناناً وهي ترد

بصوت يخرج من صدر عرف التنهد: أمركب أمل أم يأس ذلك الذي تنتظر؟ أجبت وقد اشتعل فيَّ ما حسبت أنه انطفأ، وارتج بين جنبيَّ ما ظننت أنه خمد: هو حلم قريب بعيد، تلاشى طويلاً ولم يمت.

❖ ❖ ❖

اهتزت نخلة العز والكبرياء، وبدا جيدها الحريري المبتل كسحابة صيف تشف عن شمس وصبا وتتدثر بطيب وندى وتتلوى في الريح كخصر راقص، عازف، رهيف. سمعت نهنهة كآهات لحن حزين، ثم ابتل ورد وجنتيها بدمع، أم أنه المطر؟ اختلط على ماض بحاضر، وحسبت أنني في حضرة «سجى» من جديد. ناديتها، ناجيتها، ثم مددت يدي وكأنما مستنجد يعرض نجدته.

مدت لي كفاً دافئاً، ناعماً، حنوناً، تحية غريق لغريق. ثم هبطت إليّ من عليائها سحابة عطر.. وأمطرت.

❖ ❖ ❖

لازلت أقف على مرفأ الليل أنتظر زورقاً يعبر بي إلى المحيط. تباً لهذا النوتي، يعرف أني أنتظره كل مساء ولا يأتي. تباً لكل نوتي وكل مركب حملني إلى كل بحر وكل محيط. فمنذ الليلة الماطرة التي ذرفت فيها دمعاً احتبس عمراً، وكشفت جرحاً داريته دهراً، وأنا أنتظر تلك «السجى» في ليالي الجزر الاستوائية المطرة.. ولا تعود.

عـبـدالـلـه
الـعـقـيـبـي

(السعودية)، نشر العديد من القصص في المجلات والصحف المحلية.

الكنقر الصغير

أتسلل كل ليلة عندما تكف عينا أبي عن مراقبة أجسادنا الصغيرة، في تلك اللحظات حتى الظل يكون قد سكن هو الآخر عن وخز أبي أكون الوحيد الذي يتجول في المجازات ذات الإضاءة الخافتة كإشعاع نجمة بعيدة التجول في المجازات ليس صعباً على إخوتي الذين يكبرونني ببضع سنوات فقط، لا خوف عليهم حتى لو أصاب أبي كابوس لعين يجعله يشيح بلحافه الذي لا يستطيع تغطية عينيه اللتين لا يعرف لهما وقت نوم مؤكد.. فيتفقد البيت كله، يوصد الأبواب مرة أخرى، يمرر كفيه علينا ليتحسس أجسادنا التي أرهقها النهار، فالمجازات لها مخارج كثيرة من كأس ماء سريع أو زيارة مستعجلة لدورة المياه،

لكن الأمـر مختلـف معي فزيارتـي الليلـية تتجاوز حدود المجازات الآمـنة، إنمـا قصـدي الأعظـم عريـن الأسـد ذات أقفز مـن غرفـة إلى غـرفة حتى أصل واقفاً على مـشط قـدمي أمـام هـذا الـباب السيد في بيتـا، تصيبني في مثل هذه اللحظة قشعريرة يتشوك لهـا جلـدي، أفكـر جـدياً فـي الـرجـوع لـكن شـيئاً سـحرياً داخل غرفـة أبي ينـاديني، أتـشجع مـوهمـاً نفسـي بأن مـا سـيحل بـي لن يميتـني صحـيح إن وسـواس أبي قـاتل لكنه لـن يتـجرأ علـيّ يوماً وهـذه النائمة بجانبه ماتزال أمي.. لا أدري كيف استطعت إقناع الباب السـيد بأن يبقى صـامتاً هذه الثانـية التي أنسل فيها أمام عينيه الـتي لا أنكر مكرهـما هي الـتي تجعلـني لا أحس بالأرض من تحـت هـسيس خطواتـي ذات القـدمين الـصغيرتـين.. وصوت رجع جهاز الـتكييف عندما يستعيد أنفاسـه قبيل الفجر يجعلني أتجـمد مـكاني كقـالب ثلـج.. أنـساب سـريعاً إلـى الـطرف الآخر فأرى الفراغ الذي تركته أمي الرؤوم بين جسدها اللدن ولحافها المتين الـدافئ فـأقفز فيه مـثل الـكنغـر الصغـير الـذي يأوي إلـى جيـب أمه هنـاك في أسـتراليا. تهتـز سمـت الـسرير فيقشـع أبي لحافه عما بقي مـن وجهه فتوهمه أمي بحركة تمثيلية بأنها هي التي تتحرك وأن الـكنغر الصغير لم يأت اليـوم ليغرس رأسـه في صدر أمه التي كانت تنتظر قدومه من أول الليل.

❖ ❖ ❖

خـالـد محـمـد الحـسـيـنـي

(السـعـودية) ، نـشـر العـديـد مـن القـصـص فـي المجـلات والـصـحـف المحلية.

عيد إيه.. يا واد؟!

بعد صلاة «المشهد» التقى حسن بالعم مسعود وقبل رأسه وقال له محمد من العايدين يا عم مسعود.. كل سنة وأنت طيب.. أجاب العم مسعود أحد قدامي أحد أحياء «مكة» القديمة حسن.. كل سنة وأنت طيب يا ابني.. لم يكن حسن جاوز العشرين من عمره وكان العم مسعود قد جاوز الستين كان عم مسعود بملابس العيد الثوب والكوفية البلدي والغبانة والحذاء الجلد «الجديد» أدى صلاة العيد في الحرم وفي طريقه تزود بما يحتاجه إفطار يوم العيد من مخبز «الغربي» عدد من أقراص العيش الحب ولم ينس لقيمات وزلابية العيد حمل كل ذلك ملفوفاً في «سجادة يحملها دائماً على كتفه وسار

إلـى مقبـرة» المعـلا مسلـماً علـى مـن سبـقـوه إلـى المقـابـر والـده ووالدته وكثير مـن أقاربه هذا سعيد وهنا أسمـاء وهذا قبر فؤاد ابن عمه لم يستطع أن يمنـع دمعـة نزلت على الوجـه الذي تـأثر بهذه السنوات وأمسك بطرف الغبانـة ومسح دموعه وسـار حتى وصل إلى حيث الطاهـرة الزكية السيدة الجليلة خديجة زوج وسـانـد النبـي صلـى الـلـه عليـه وسلـم وعلـى آلـه وصحبه وسلـم ووقف أمام القبر الطاهر ثم غادر حيث داره التي لا تبعد كثيراً وهو يحمل مـا معه مـن خبز وبيده اليمنى لـم ينس أن «يصرف» مائـة ريال مـن فئـة الريال الواحد وزع عـدداً منها على الأطفال الذين قابلهم وعدد من المحتاجين وصل داره وجلس في انتظار أبنائه وبناته الذين ضمهم جميعاً هذا البيت وقضوا فيه سنوات جميلة ثم فرقت الأيام بينهم فهذا أحمد يعمل في مطار الظهران وهذا أسعد في المدينة وبناته نجوى في الطائف وزينب في الرياض ولم يكن من أبنائه في مكة غير جميلة التي وصلت مبكراً مع زوجها وأولادها جرياً على العادة تناول الإفطار في منـزل «الوالـد» حضر بعض الأبناء والبنات وتناول العم مسعود الإفطار معهم ووالدتهم وهو يشعر بسعادة غامرة وسط أحفاده من البنين والبنات الذين أمتعوه بعبارة «جدي مسعود»، ولم ينس أن «يعيدهم» ولكن بمبالغ مـن فئة العشرة ريالات «جديدة» ومع اقتراب العـاشرة غادر الأبناء والبنات جميعاً إلى منـازلهم وإلى مناطقهم وعاد مسعود كما بدأ مع أم أحمد ونظر إليها التي هي الأخرى لم تستطع أن تعمل على منع آثار السنوات التي كان لها

تـأثيرهـا علـى وجهها ودار حوار صامت بينـهما تخللتـه دموع فرحـة العيـد ولـقـاء الأبـنـاء والـبـنـات ودموع انـصـرافهم بـهـذه الـسـرعة وعرفت ما سيقولـه وقالت لـه.. تذكر يا أبو أحمد أول عيـد بعـد زواجنـا عنـدما ذهبنـا إلـى أمك وأبوك وغـادرنـا بعـد الإفطار إلـى منـزل أهـلي «لنعايدهم» ثـم إلـى منـزلنا لقد رأيت أمي بقدر فـرحتها بلقائنـا تحاول أن تمنـع دموعها ونـحن نـغادر إلـى دارنـا.. هـذه الأيام يـا أبو أحمـد تعود وغـداً سيـرى أبنـاؤنـا نفس الصـورة.. خرج مسعود في الـيوم الـثاني صباحاً «لـيعـايد» جيرانه جرياً على العادة ولم يجد من يستقبله إلاَّ جارة «صديق» البقيـة فكانت أبوابهم موصدة كانوا يغطُّون في نوم جميل بعد سهر طويل.. وهو يخرج من باب جاره صديق قابله حسن وقال له إلـى أين يا عـم مسعود؟.. وأضـاف حسن «أشـبهم أهـل الحارة نـايمـين والـدنيـا عيـد؟» أجـاب مـسعـود بـحسـرة وألـم علـى عيـد زمان.. عيد.. إيه يا واد!!؟؟..

❖ ❖ ❖

عمر طاهر زيلع

روائي من مواليد 1946 (السعودية)، له مجموعة قصصية بعنوان (البيداء) 1998م.

وجهها

سار قدماً.. صوت حاد من بوق سيارة مسرعة.. أعاد إليه قدراً من الانتباه والحذر.. لأول مرة أعبر هذا الشارع راجلاً..

فتح عينيه متفرساً في الأبواب والشبابك.. وقطع الأرض الموحلة.. المحصورة بين المباني الحديثة اللامعة.. كل مبنى هنا يشهد بمستوى وذوق صاحبه، لكن المسألة ليست بهذه الصورة.. الصندوق العقاري مكّن كثيرين من السكن في قصور تضاعف من فقرهم.. وابتسم يردد في نفسه (فقراء في قصور) وتمادى في محاكمة المشاهد التي يمر بها مرسلاً موجات من الآهات والبسمات الغامضة. لاتزال السباخ تمارس سلطانها على الأشياء هنا وتلقي بذيولها المعتمة على البيوت الأنيقة.

مر بصبية يركضون ويتراشقون بالحصوات عاد القهقرى.. تخيل نفسه راكضاً مع الصبية يلهو مثلهم بمثل هذه الحركات الرعناء في نظر الكبار مثله.. الكبار الذين يلهون بطريقتهم التي لا يعبأ بها الصغار. ابتسم وهو يشيح بوجهه إلى حيث لا تراه عين يحتمل وجودها. (ها أنا ألهو أيضاً. نزهة في أعماق الحزن والفوضى).

ما كاد يبتعد عن صخب الأطفال حتى باغته قطان كبيران يتعاركان بضراوة بجوار كومة من النفايات حيث تجثم قطة (مريرية) تشع عيناها الجميلتان ببريق النشوة وحلم الانتظار حسب استنتاجه. اختفى القطان وراء كومة من التراب على حافة الرصيف الأيسر يتبعهما فحيح الإصرار على الانتصار على حساب هزيمة أحدهما.

بدا الشارع في عينيه وكأنه يتعمد كشف أسراره يعرض ما يختفي عادة عن العابرين، هكذا فكر وبسمته التي لم تنجح في محو تغضنات الهم عن وجهه الشاحب تملأ وجهه.

كلب ضاوي الكسمين يسير منكساً ولعابه الغزير يرسم خطاً لزجاً على بلاط الشارع المترب. رجل مسن رث الثياب يحدق من خلال نظارته الرمادية. شعر بغصة (مصير محتمل في نهاية المطاف، الزمن هو الذي يحدد كيف تنتهي الجملة).

تزاحمت الأسئلة والافتراضات على شاشة ذهنه المكدود

تنبعث مـن أقصـى البـحيرة الرمـادية فـي داخلـه. كل شـيء يبـدو أمامه الآن عبثياً وهامشياً. إذاً فأين هو صميم الحياة؟.

شبح إمرأة توارى في البعد الـذي ييسر إليه بخطوات وئيدة.. تمدد بينه وبين ذلك الشبح الملفع بالسواد امتداد مقفر من القار والسباخ وأكوام لزجة من التراب، وبراميل صدئة مقززة، لا اخضرار، لا انسياب، لا جملة مفيدة تشير إلى ولادة حيوية تطرد هذا الموت المقنع بقصور أنيقة (يقطنها فقراء مثقلون بالديون)، وهموم سداد ملذات عابرة لا تصنع المستقبل. تراجعت البسمة عن شفتيه حين برق في نفسه (أنت تبالغ في تفسير الأشياء بسوداوية لا حدود لها).

اقترب من الشبح وكاد يهتف باسم زوجته. الخطوات الحذرة المتلكأة نفسها. القوام المتهدل ذاته! حين عبرت بالقرب منه عادت بسمته تحتل قسماته بلا فرح. ليست هي.. هذه إمرأة مسنة، كيف تصورت أن أم الأولاد تغادر بيتها.. سجنها الآن، وتساءل في نفسه:

- لماذا قلت: سجنها؟ لم يدع هذا السؤال بلا جواب.. فواصل يحاكم نفسه: (نعم كل النساء في حينا سجينات ومع ذلك فإطلاق سراحهن هو الكارثة بعينها!!).

حاول طرد هذه الأفكار فغرق في الذكرى.. ترك للطريق خطواته التلقائية، تجرفه البداية قبل ثلاثين عاماً.. جاءت

صورة أمـه مـن أقصـى ذلك الامتـداد الـزمنـي تقـول فـي فـرح ووجل:

- هل أنت جاهز. ما بالك مشوشاً في ليلة عرسك؟

- أنـا! نعـم جـاهـز كنـت أنتظر إشـارة منكم، هـذا هـو السـبب. أصدقـائـي فـي المجلـس وسـأخـرج إليـهـم للـتـأكـد فقـط مـن هندامي، أشعر ببعض الحرج من الموقف الذي ينتظرني!.

- هنـدامك؟ لا يوجد مـن هو أجمـل منك الليلة يـا بدرنا الغـالي، لا تـدع التشويش يفسـد جمـالك وفـرحتـي، بسم الله عليـك، بسم الله عليـك.. هيـا ماذا تنتظر؟ لقد بعثت من تشعـر أم العروس بقدومنا!!..

حـول الـعـروس ضـجَّ المكـان بـوسـوسـة الأسـاور.. وعـبـق الأجساد الأنثوية المغسولة المضمخة بالعطر وأزهـر بعقود الفل تطوق أعناق الشـابات، أو تتدلى بنشوة على الصدور، افتراءات وتهامسات، وصليل، ونكات لاذعة، كما لو كانت الدنيا بأسـرها قد تخلت عـن همومها اختصرت نفسها في هـذا المهرجان الصغير.

دخل محفوفاً بأقاربه ومعارفه وأصدقائه الخلص، مشوشاً زائغاً قافزاً بنظراته على تلك الوجوه المتألقة، وغمـرته روائح المكان فلم يكن بإمكانه أن يميز رائحة عروسه الجامدة كالتمثال فوق عرشها الوردي، متوارية وراء زينتها وغلالاتها. بدت له

كائناً أسطورياً بلا وجه، اقترب مرتبكاً، أزاح عـن الوجه غلالاته الشـفافة وجلس فاقداً تركيزه، عـاجزاً عن إدراك كنه مشـاعره، انتزعه صوت لم يحدد صاحبته:

- انتهت الجلوة، حرسكم الله من كل عين.. تبـارك الله مـا شـاء الله.

خـرج مـن الحـقيـقـة (الحـلـم) لا يـدري. كـمـا دخـل فـيـه. مـشوشـاً، بلا تـركيز عـدا ذلك الأثـر الـغامـض الـذي لبـث ثلاثين عاماً يحـاول معرفته بلا جـدوى. وجه عروسه التي غـدت زوجته وأماً لأولاده وبنـاته الـسبعـة ظل مـلفعـاً بـالـغمـوض نفسه لـيـلـة (الجلوة).

واستمر (هو) يواصـل استكشـافاته لوجهها. في غرفة النوم وصالـة المعيشـة في المطبخ فـي السفر والإقـامة. الـفرح والـترح، وفـي الـصـور الـتذكـارية، ثـلاثـون عـامـاً يـبـحـث عـن الـقـسـمـات الحقيقية لوجه يعيش معه. وجهها الضائع بين الحقيقة والوهم، فـي كل الأوقـات.. وقفـت سيارة صغيـرة وهـي تحدث ضجة مـن كوابحها، وأطل منها وجه شاب لا يدري هل يعرفه؟

- أقرّبك يا عم..

- شـكراً. اقـترب مـن بغيتـي.. ولا يدري كم مرة قـد عبـرت على يسارة سيارة الدورية.. أهي سيارة بعينها، أم..

استدار يميناً وسـلك زقاقاً فرعياً باتجاه البيت، وبدأ يحس

بقشعريرة تدب في جسده وتهز كيانه كله، وثقل في ساقيه، أهي الحمى؟. جاهد كي يصل إلى بوابة داره الخارجية، استند إلى قائمتها اليمنى وضغط زر الجرس وأغمض عينيه.

انفرج الباب الصغير، أطل وجهها، فانفجر حين رآها باكياً بحرقة، مدت ذراعيها التي برزت عروقها الزرقاء، تتفرس في وجهه من خلال دموعها، من خلال الدموع المشتركة أبصر كل منهما الآخر لأول مرة.

❖ ❖ ❖

ممـــــــدوح الجـــبـــريـــن

حائل. (السعودية)، نشر عدداً من القصص في الصحف والمجلات.

أرجـوزة المـوت(*)

– «حصّة»؟

– نعم،

– ياللسكينة التي تغمرني بمجيئك، أطمئن، أطمئن برؤيتك يا حصّة...

– لو أنك تخرج من هنا، ما لك تبدو اليوم منهكاً أكثر، أشهد بأني أحبك جداً.

(*) الرقص في ساحة الموت هو الارتجاز، والأرجوزة هي ما يقال عندئذ من نظم.

- آه يا حصّة، يالهذه التلال التي لا تنتهي، تل، وراءه تل، وراءه تل...

❖ ❖ ❖

«حصّة» لم تعد أمامي، راحت كحلم ما قويت الجفون على الإمساك بأي من أشهى بقاياه، أبقت لي جمراً من أرجوزة تلتهب في قلبي، فانتزعت اللفافة اللعينة من على ذراعي وارتجزت رافعاً يدي وحرارة الدم أحسها تسري على جنبي اليمنى، عندما أطلت الممرضة بأسنانها الكثيرة فرّت هاربة بصخب، هذه الملعونة لطالما دعوت أن تنزلق من على سطح الأرض وتسقط في أعماق الشمس، لكنها إلى الآن وكأنما تزداد أسنانها كل يوم اثنتين...

صحت منادياً بصوت عال عال، عال.. حصّاآآه... يا حصّاآآآآآه....،

عيون كثيرة برؤوس متراكبة كانت تطل، والطبيب كأنما يجر جثته بأقدامه دخل، أشار بيديه أن (اهدأ)، وعندما رأى الدم والدم الذي ينزف من ذراعي.

قال بتباطؤ مثير: دعني أوقف هذا النزيف، ثم إن شئت أن ترقص، ارقص كما تشاء!!!

رفع اللفافة من الأرض وكان يسمعني بعينيه وأذنيه وأنا أقول: (أريد أن أحيا أيها الطبيب، هل تعي أن يفتقد الرجل أي

قيمـة لهذه الحيـاة ويظل مع هذا يتنفس برئـتي خروف، كبـيرتين وما ثمّة خلية واحدة للصياح!!).

قـال وهـو يضمـّد الجـرح النـازف: كلـما اسـتطعت أن تكـون هادئاً أكثر، كلما قويت علـى أن تـخطو خطـوة صحيحـة باتجـاه الحيـاة التي أحبـبت، أنـت لم تقـل أنك ثـور على أي حال، وأنـا لا أعني أن تكون سميناً بأي حال!!

قلت: ياللطبيب المعتق!!

نظر إلى الجـدار كأنه يحدثه، قال: لو أن كل شـخص ركض إلـى حيـاتـه التـي يحـب مثـل ركضـك أنـت لم يصـل أي شـخص، سيبقـى متعـثراً بـأشـياء تـافهـة وربما حقـيرة أيضـاً حتـى تفوتـه الحيـاة، ربما تمر بالـقرب منه، قـريبة جـداً، لكنه سـيبقى عـاجزاً عن الفوز بجناتها، أرجو أن تهدأ ...

كان قـد أكمل ربـط اللفـافة ذات الرائحـة البيـطرية ثـم قال: أمـا تعلم أنـنا نـخدم أنـاسـاً كثيـرين؟!! ألا تـساعـدنا بـالهـدوء؟ ألا تعرف كيف تهدأ!!

مـشـى إلى البـاب ببطء، أغلقـه خلفـه بقـوة، وإلـى سـريري انقـذفت كقـطعة إسـفنج وفـي آخر تماسـكي تربعت فـي منتصفه وصحـت منـادياً بفزع صـاعق: وآآآآ و، يالـطبـاآآآيب!، فـتح البـاب فإذا هو، ممسكاً بمقبضه سأل: أنت ماذا تريد؟ ماذا تريد؟؟

طلـبت منـه ألا يذهـب لنتحـدث عن أي شـيء، عـن أي شـيء،

فقط لا أطيق أن أبقى وحيداً بهذا الليل القارس وهذه الاحتمالات التي لا أجد أياً منها إلا سيئاً..

قال بتلطف مصطنع: أعدك بأن آتي إليك، أرجو أن لا تنسى ما كنت ستقوله، فسكت، والباب مغلق خلفه، وأنا أنظر إلى أعلى الجدار حيث نافذة صغيرة لا تعرف إلا، لعاب العنكبوت، ولا يبغضها هي والجدار والغرفة الكئيبة وهذا المعتقل المجاني والطبيب ونكهة الموت أحد أكثر مني...

❖ ❖ ❖

- حصّة، أكاد أتذوّق طعم وجهك والنور، حصّآآآآه...

- نعاااام، نعم!!، ما بك؟!

- أنا لا أريد جسدي!! هل يقوى الموت على مقابلتي بغير هذا الجسد؟

أريد أن أهرب بعيداً، بعيداً!! لن أنتظر مجيء الموت إليّ! أريد أن أبقى بعيداً عن الموت المجدول، أريد أن أكون بالنهر يا حصّة...

أقسم لك بأنني رأيت الحياة ذات برق...

- إيه، أدري، لم أكن لأقوى على المجيء إليك لو لم ترى تلك الحياة، أتعرف ما الذي يشدني إليك؟، يااللعنة، ما الذي جرى لأسنانك؟ افتح فمك، أين هذه، وهذه؟ يااللبائس!!

- دعك مـن أسنانـي الآن وقولي، قولـي كيف أقفز إلى الحـياة...
حصّآآآآآآه...

الطبيب واقفاً أمامي كنصب، جلس على الكرسي الأجرب، أدار رأسه متتبعاً رسـوم الدم، وفجأة سأل: من هـي حصّة؟ أين اختفت؟ كنت تحدثها قبل ثوان إن شئت ألا تخبرني فهذا لك، ولكن، أتمنى أن تخبرني أين هي؟

قلت مشيراً إلى السقف: حصّة تأتي من هنا، ينفرج عنها السقف فتأتي وينفرج لها السقف فتروح.

مرّات كان الطبيب يحدّق بي، ومرّات أخرى كان يحدّق بالسقف، أشار إلى أعلى بسبابته المنفردة بالطول ووجهه باتجاه السقف وهو يقول: تأتي من هنا، وتروح من هنا؟، أومأت برأسي مجيباً فقال: إن كان ما تقوله حقاً فهو شيء بديع، ولكن قل لي، هل يحدث هذا حقاً؟ ثم صار يتردد بين هذين الجدارين المتقاربين ويداه متماسكتان خلف ظهره وهو يحدث نفسه وربما يحدثني:

تمر بي بعض الومضات أشتهي وبعزيمة قوية أن أصيح مثل صياحك أحياناً أو أشد، ولكنني لا أستطيع، ولا أستطيع، هل تقدر على أن تجعلني مثلك؟ لا، لا، ليس مثلك تماماً !! أعني... هل تفهم ما أعنيه بالضبط؟ هل تمتلك القدرة على تغيير الآخرين؟ ولو شيئاً قليلاً؟ هه، كيف أكون أنا هو أنا؟، لا، لا، بل كيف أكون أنا هو ما أريد أن أكونه أنا؟! هه؟ سمعتني؟

قلت: لا أعرف إلا حصّة...

أدهشني بلا خوف من كثرة تردداته آتياً ورائحاً بين الجدارين وقبل أن يغلق الباب خلفه ذاهباً عاد بوجه مرعب فرأيت يده ترتفع عالياً ولا أذكر بالتحديد أين هوت!

❖ ❖ ❖

- حصّة...

- نعم!

- أطيلي البقاء عندي يا حصّة، لم تروحين وأنا أشد ما أكون محتاجاً لبقائك؟

- أين أبقى، هنا، أم في قلبك، أم في مساحة بصرك؟، ليس ثمة مسافة طويلة ما بيننا.

أما ترى كم أنا قريبة منك؟ يوماً ستذهب معي إلى هناك، سنبقى معاً، معاً .. أنت لا تدري متى ولا أنا، لعله يكون أقرب مما نظن، أتذكر البرق؟

أنا رأيت البرق مثلك، كنت أجمع الثياب التي نشرتها أمي بالسطح، ثم دوّى الرعد، كأنما انهارت السماء، شق البرق السحابة بسيف نصله بيد مثل يدك هذه، كنت أنظر إليه لكنه لم يخطف البصر بل لسع صدري وقلبي ثم غاب البرق.

وأنا أخلع ملابسي المبللة بالغيث قلت لأمي: (يمّه)، إن

البرق الآن في قلبي وفي دمي، كانت تنظر إليّ وتبتسم بغموض لذيذ، ثم صاحت بي على عجل أن لا أتحرك كثيراً حتى لا أطفئ سراجنا ذا الزجاجة المكسورة، ورائحة الفتيلة تؤكد لي أن قلبي الآن هو الذي يحترق وليست الفتيلة، لا، ليست الفتيلة، هو الذي يجيء بي إليك من غير حرف ولا صوت ولا رجاء، نأتيك معاً أنا وقلبي، لو أن قلبك توهّج ذات برق ستطرأ عليه الكلمة التي تأتي بك للنهر، أو تأتي بالنهر كله إليك، أحلف بأني سمعت قلبك يقول كلمة كأنها هي، هل قالها قلبك؟ هل سمعتها أنت؟

- أين البرق؟ أين ألقى البرق يا حصّة؟ بل كيف يتوهّج القلب كله، كيف، كيف، كيييييف؟

سقف قريب، أرض عاقر، ليل وموت.

❖ ❖ ❖

- صباح الخير ياذا الركبتين! جاءك الشخص الذي كأنك لا تحبه!

قلت: لا تهتم كثيراً، فالشخص يرغم أحياناً على أن يعيش مع من لا يحب! وربما مع من يلعن صباح مساء.

كان الطبيب يهز رجله التي وضعها على الأخرى وهو يسند ظهره على الكرسي الأجرب ذاته، قال: أخبرتني الممرضة أنك كنت هادئاً ليلة البارحة.

قلت: تباً لـ (هبة السباه)، وتباً لـ (هبة المسا)!!

مد الطبيب رجليه على استقامتهما وهو يضحك بتمنّع، ثم مسح بباطن كفه اليمنى على جبهته، أمررها على عينيه فأنفه ففمه وكانت عيناه على أقصى اتساع وهو يقول: أنا لم أكن هادئاً ليلة البارحة، انتابتني صيحة مباغتة فصحت بأشد ما قويته من صوت، كان فمي قريباً من أذن زوجتي النائمة فتقافزت كأنما تخبطها الشيطان بألف مس، ولم أفعل بعدها أي شيء برغم محاولاتها وتباكيها المقولب، تظاهرت بالنوم العميق، العميق جداً، وأنا أتساءل بعبرة قاتلة، هل أنا الشخص الوحيد الذي يتظاهر بالنوم؟ أم الشخص المليون أم واحداً من الثلاثمائة مليون نزيل، هل هذه هي الحياة؟ هل هؤلاء ليسوا إلا هؤلاء؟ هل ياترى تسري عدوى الصيحة بالصوت، أم بالبصر، أم بالدم؟ أم أن النور تملؤه صيحة أخرى؟

ياللعدوى، ياللعدوى، آآآآآهـ، يالهذه المجرّة التي تجثو على رئتي!

لا قلبي ولا سمعي ولا بصري ينفذ من خلالها، هل تعتقد أن ثمة وسيلة!

ثم وقف الطبيب صائحاً،

ثم صاح،

ثم صاح،

ثم بكى بصوت تصدّعت منه الليالي والغيوم والمقابر، والترائب، والسلاسل والأصلاب...

ثم نهض من الكرسي واضعاً يديه على وجهه،

ثم فاتحاً الباب باصقاً على كل من وراء الباب،

ثم خارجاً بالصياح إلى مجرات أخر،

ثم وقع خطواته في الممر عابراً،

ثم أصوات زجاج يتحطم على الأرض والجدران بشدة،

ثم أصوات غاضبة،

ثم صياح صوت، هذا نزيل آخر، هذا ليل طويل.

❖ ❖ ❖

اعـتـمـاد عبدالعزيز الـنـعـيـم

قاصة سعودية، نشرت لها مجموعة قصص في الصحف والمجلات المحلية.

أنا ودموعي

كانت تجلس وحيدة في غرفتها تحدق في السقف.. تعيش مع الفراغ لحظات طويلة كسنوات من الشقاء والألم، قفزت فجأة من مكانها تسمع صوت الهاتف يرن.. تركض بسرعة.. توقع كل ما هو أمامها.. تقع أرضاً وتقف من جديد تحاول السيطرة على نفسها وعلى جسدها الهزيل.. دقات قلبها تتسارع وكأنها تسابق الزمن في لحظات.. تلهث والرنين مستمر.. تشعر بأن كل ما هو أمامها يهتز.. تقترب أكثر.. تلمس يدها سماعة الهاتف.. تقربها من أذنها مغمضة عينيها خائفة مما ستسمع تضع يدها على قلبها ولكن.. لا أحد هناك

إنـهـا لا تـسـمـع شـيـئـاً !! لـيـس هـنـاك مـن صـوت يـوقـظـهـا مـن غيبوبتها..

وقفت لـوهلـة وأخذت نفساً عـميقـاً .. يا إلـهي إلـى متـى؟ إلى متى ستظل هكذا؟؟ إلى متى ستظل تسمع صوت الهاتف يرن وتتألم لأنـهـا لـم تـسـمـع صـوتـه... إلـى أيـن تـريـد الـوصـول بتهيؤاتها؟؟ الـهـاتـف لـم يـرن.. مـجـنـونـة هـي مجنونـة.. تـصـرخ بهستيرية: الهاتف لم يرن.. لم يرن..

(تعبتُ تعبت..) توقع الهاتف وكل ما هو أمامها أرضاً .. تبكي بحرقة شديدة.. لقد كان الهاتف صامتاً كصمت المقابر والوحشة التي تعيشها من بعده أحيتها من عذاب انتظار مستمر لا نهاية له..

لماذا يحدث لها كل هذا؟ هل هي مخطئة لأنها تريده.. هل هي مخطئة لأنها مازالت تحبه؟ أم لأنها مازالت متمسكة به وتنتظره؟؟ من المخطئ؟؟ سكتت والدموع تتحجر في عينيها.. كم تشعر بالقرف من حالها.. من استسلامها لوضع فرض عليها.. من جرح مازال ينزف بشدة.. كلما تذكرت كلما أدركت أنها لا شيء.. هي ليست سوى شيء مجرد من التسمية..

كأنما أصبحت تكرهه وتكره ما جعلها تشعر به من بعده.. وتكره نفسها أيضاً على قدر ما أحبته.. تمشي بخطى متثاقلة نحو غرفتها وكأنها جسد مبرمج على الحركة وتدخلها

لتلقي بنظرة سريعة على جدرانها وكأن الكون كله من حولها يدور.. وحدة تحاصرها من كل ناحية.. وغربة قاتلة حتى هنا في قوقعتها الخاصة الحافظة لأسرارها والشاهدة على وناتها.. تتجول نظراتها بسرعة على ما في غرفتها وكأنها تسفه كل ما هو حولها.

الصور تطل من نوافذ بعيدة على عينيها. وتقترب تقترب وكأن الزمن تكثف وقصرت المسافات وأصبح كل ما حولها ظلام إلامن تلك الرؤى التي قدمت من تجاويف الزمان زائر ليل وغربة ومكان.. ذلك البرواز تقرب منها وتقربت منه وكأنه يد الرحمة مدت لغريق. تمسك به وتنظر إليه كالطفل المستفهم عما في يديه وتضغط عليه بشدة.. تنظر إليه بحدة واستغراب وتغمض عينيها بقوة وكأنها تنعش ذاكرتها فتبكي بحرقة وشراسة وتهطل على وجنتيها دموع ثقيلة ساخنة تغسل وجهها الطفولي المتعب.. ولا تسقي حلقها الجاف وتضع يداً على كتف المقعد لتتكئ عليه ويتفاقم لديها ذلك الشعور الخانق المذل بالضعف والعجز.. ترمق البرواز والصورة التي يحتويها.. هي ولكنها ليست هي!!

أصبحت لا تعرف ذاتها وكأن من في الصورة غير وجهها. تتراكم الأسئلة في عقلها لتسأل نفسها ترى على ماذا تبكي؟ أعلى نفسها أم عليه؟ أم على عمرها الضائع بين حدائق شوكه وجفاف عينيه؟؟

كسـرهـا كثيـراً وطـويـلاً.. بـأنـانيـة حبـه وبقـسـوة قـلبـه المفاجئة.. تتنهد تنهيدة المتحسر على حاله كيف كان وكيف انتهى إليه.. اشتاقت لزمن وردي لم يعرفه. لضحكتها العفوية الطازجة.. لا لضحكات الاستهزاء الباردة التي تزيف ذاتها.. نسخة تحمل هم كل شيء.. لا تعيش إلا لتحيي ذكرياتها..

أمعقول هذا؟ كيف دخل حياتها بسهولة؟؟ كيف سيطر عليها واحتل قلبها..؟؟ كيف قلب حياتها وحولها من جنة إلى جحيم.. عاشت قبل أن تعرفه بلا ألم.. بلا قلب مجروح.. بلا حب مهين وذكريات مزيفة.. تعرف مذاق النوم ولا تحمل هماً ثقيلاً يقلبها في فراشها مئات المرات إلى أن يتعب جسدها ويتخدر عقلها وتنام كجثة هامدة مع طلوع النهار.

لا تستطعم نوماً ولا تستلذ طعاماً ولا تعيش حياة.. يسرقها خيالها لتستعيد صدى ضحكتها البريئة التي تضج بها الأماكن، وتتوالى عليها رؤى طفلة كفراشة ربيع لا تكن ولا تجرح.. تعيش كل يوم لتجمل عالمها والعالم من حولها.. متفائلة بغدها..

إن ابتسمت سعد من حولها.. طفولة بسمتها تسعد المريض وتبهج الوحيد وتطفئ نار الغاضبين.. لقد كانت ببساطة تعيش.. ولكنها الآن؟؟ ما الآن عما فات فليس هناك وجه مقارنة بين الحي والميت.. فهي كمن توقف عقله وجسده حي.. صور متضاربة تبعثر تفكيرها فتتعب ولا تستريح..

تدور الـدنيا من حولها وهـي جالسة فـي غرفتها البائسة وهـي بلا حـراك.. ما الـذي تريده؟؟ مـا الذي تفعله؟؟ لا شـيء.. إنها لا تعرف شـيئاً ولا تحتاج أن تعرف فلقد تعبت من مـرارة الأسئلة؟؟ تعبت من كل شيء.. من حياتها.. من نفسها.. من كل من يراهـا ويسألها عـما بها.. ومن كل هـمسات تمسها.. كأن الكل ينظر لها نظرة الشفقة على ضياعها وعلى حالها المؤلم الممل..

كثير من زارها وبكى على حالها وتوسل إليها أن تبدأ من جديد ولكن ذلك التبلد الذي يسيطر على حياتها كبر بها من رقة طفلة الأمس إلى قسوة إمرأة لا يؤثر فيها شيء فلا الدموع ولا التوسـلات ولا الشماتة ستحرك مياهها الراكدة.. لم تعد هنـاك ردود فعل لأي إحساس فكلما ذرفت من أجله الـدموع أو أشعرها أحد بحبه وبمساندته لها كلما ازدادت قسوة وشـاحت بوجهها لتتمتم بصوت خافت بأنها مسلسلات لا تنتهي.. كم من قلب رجاها أن تعود لعهدها القديم وقلبها الرحيم ولكن هيهات لتلك الأذن التي سئمت تلك الكلمات المكررة أن تتقبل المزيد. فلقد تعودت تشيح بوجهها عن تلك الأعين والألسن التي تتحرك دون أن تسمع شيئاً منها وكأنها تغيب عن حاضرها الذي يعذبها وينفرها من نفسها أكثر فأكثر.. ترى ما الـذي سيحل بها أكثر مما حل؟؟ وما الذي ترتجيه من حياتها غير أن تحقق مرادها.. أفلتت «البـرواز» من يدها بهدوء ليقـع على الأرض وكأنها تقول

لنفسها فليذهب هذا الماضي إلى اللاعودة فلم أعد أعرفه.. أفلتته بهدوء وكأنه وقع منها فلقد أصبحت تكره أن تفهم نفسها. وأن تواجهها نفسها بما تهرب منه أياً كانت الحقيقة حلاوة ومرارة.. وأسندت رأسها على المقعد لترمي بيديها على كتفيه الكبيرتين وتغرق نفسها في لحظة استرخاء. تغمض عينيها لتحلم به من جديد وتعيش بقية أيامها وحيدة تنتظره وتنتظر رنة الهاتف التي ستعيد لها حياتها وتسترجع بها كرامتها المجروحة لتقول له اشتقت لك ولدفء صدرك الحنون ولكني ما عدت أحبك بل أصبحت أكرهك وأحتقرك حبيبي.....!!

❖ ❖ ❖

محمد علي قدس

من مواليد 1948م، أصدر خمس مجموعات قصصية منها: مواسم الشمس المقبلة (1982)، النزوع إلى وطن قديم (1984)، آخر ما جاء في خبر سالم (1995).

أحياناً نموت واقفين

الرياح تحرك كل ساكن!

تهتز الأشياء.. كل الأشياء في وجهه. يغوص في حلم كئيب. مثقل بهواجس غريبة. ليلة مقمرة. البدر يتلألأ فيها محزوناً. تتمدد في عينيه خيالات يتطامن لها قلبه. يحس بانقباض يوقظ في نفسه المخاوف. وحشة القبور لا تثيره! عبرة الموت تمثُل بين عينيه كل يوم.. فقد تعايش مع الموت.. وفي صحبة الموتى! لماذا هو خائف الآن؟ تشعشعت أنفاسه برائحة الطين اللزج.. والسدر والكافور! كيف يداهم الخوف مشاعره فجأة؟

يستغرب ذلك الإحساس.. فهو إحساس غريب يغلبه! بدنه مقشعر.. قلبه لا يكف عن خفقانه.!!

إحساس غريب.. كأنها النهاية.. يساوره حزن اليائسين.. وكآبة الخائفين يغتال مشاعره أحس.. بأنه سيكون بين الموتى الذين واراهم التراب! إحساس بأنه ميت قبل طلوع الشمس!

الجو رطب رطوبة لزجة.. الأشياء تتنفس في وجهه بأنفاس خانقة! أزيز الريح المتخبطة بالأعشاب الجافة والأوراق المتدحرجة بين أحجار القبور، كأنه زحف ثعبان أو حية رقطاء على التراب، توشك أن تتربص به لتلدغه أو لتقتله.

جلس على الأريكة.. أسند رأسه على ركبة قدمه المنتصبة، انتفض فزعاً وانكمش في نفسه!! يتوهم كل شيء.. حمى داخلية تسري في جسده وتسكن عظامه!

لم يجد عند الأطباء ما ينهي مشكلته، ما يخفف من معاناته بعض المسكنات التي يتعاطاها أخذت تفقد مفعولها. مفاصله متآكلة، وخطواته ثقيلة كهمومه.

يجوس ببصره في كل الأنحاء! قَلب تفسير كل هاجس على عدة وجوه..! يخشى حتى مجرد التفكير فيها ! وخز يصيب كل شبر في جسده وعظامه!! مرضٌ خفي يتنامى في داخله.. صدره ضائق.. أنفاسه متلاحقة.. كأن فحيح أفعى ينفث في صدره.

أرسـل نظـراتـه الـزائـغـة بـاحـثـاً فـي الـتـراب والأحجـار المترامية في كل صوب!!.. لاح له طيفها.. جاءت كعروس تزدهي بفستانها الأبيض الشفيف.. حورية.. تطوف بسحرها الأخاذ حوله.. تنثر عبيرها.. تداري بخجل نظراتها المستحية! تسمر في مكانه.. بدنه مقشعر.. الريح تراقص.. ثوبها الناصع البياض.. شعرها الحريري يسافر مع الريح والسواد!! رائحة السدر والكافور تتغلغل في أنفاسه.

«أخ.. واأسفاه على ما مضى.. إني أموت واقفاً.. وها أنا ذا أحتضر. حتماً.. لابد أنها النهاية».

سكنت الريح.. خفتت الأصوات إلا من نسائم جنوبية تهب من حين لحين.

«حمداً لله الذي أماتني لأستريح من دنياكم! دنيا خبيثة.. وأخبث ما فيها أنها متعة فانية ونعيم زائل..»،

كل شيء ساكن. بدا الركن الذي كان يقبع فيه رجلٌ غريب خالياً.، إلا أن صوته مازال يتردد صداه في أعماقه!! صورته ماثلةٌ أمام عينيه بكل تفاصيلها وملامحها..، قد يكون حلماً.. إلا أنه تجسد له كأمر واقع. لم يكن كطيف عابر، كما كان طيف ابنته الذي نسجته هواجسه.. جاءه طيف ابنته وقد كانت غارقة في دموعها، هل عاد ليذكره بظلمه لها وتجنيه عليها!. ماتت قهراً ضحية بغض امرأة احتلت مكان أمها. كانت

عروساً فاتنـة تُخطب لوُدها وحُسنها وخُلقها. زُفت مجبرة في عرس هو المأتم، استقبلتها السماء عروساً تغرق في أحزانها.

جسمـه النـاحل ينتفض كشـاة ذبيحـة.. الدموع تخضب وجهه. أحس بأن حركته قد شلت. قدماه تسمرتا في الأرض. عُوده يهتز كبندول ساعة عتيق. لحظات رتيبة.. وكئيبة..، ماضيه البائس يتراءى له صوراً بشعة في مخيلته، دمه يحترق.. وقلبه في ضعفٍ يلاحق ضرباته المتعانقة!!

يغوص في حلم كئيب، مُثقل بهواجس غريبة. مشاعره محتدمة بالرعشة والخوف..!!

عاد إليه الهاجس من جديد.. هل ستشرق عليه الشمس حقاً؟! هل سيكون هناك.. غدٌ جديد؟ لا يدري!!؟

بوده لو يصرخ.. لو تساعده قدماه المصابين باليُبوسة والرومانتيزم!! لأطلق لساقيه العنان.. وفر هارباً من نفسه الشريرة.. أحس بانقباض.. انتفاضة غريبة تسري في جسده.

صوته محبوس في داخله. رائحة الطين اللزج.. تخنق أنفاسه.

أشعل سيجارة. فأشتعلت نيران الخوف في قلبه. كيف له أن يتجاوز حزنه وألمه.. وينسى أنه مثقل بهم فادح.

تسلل إليه طيفها من جديد. اخترق السحب الليلية

الـرمادية، كهـلامات بعضـها إثـر بعض يرى وجهها الدامـع مـن بينها يتسلل!!

دموعهـا تبلـل ثوبهـا الأبيـض، وجههـا وشعـرهـا المسـدل يقطران ماءً. دس وجـهه بين يديـه.. انتـفض لشـيء في نفـسه، لا شيء يمكن أن يكون بديلاً.. لشيء آخر. نحن نتخيـل ونتمنى. ولكن!! هـدأت الـريح! نسيم بـارد يدغـدغ صـفحة وجهه.. بـدت **السماء صافيـة.. وقد تسربلت في ثوب ضوء القـمر! ضم قدميه** خائفاً فبرزت عظـام ركبتيه مـن تحت ثوبه الفضـفاض الخشن، قـدماه تلتصـقان وتتنـافران بـالارتعـاش!! سـاعات قليلة ويبـزغ الفجر «ترى هل يدرك الفجر؟».

إحساس غـريب! قلبه يحـدثه أن شيئاً ما سيحـدث قبل **إشراقة الصباح. في قلبه مشاعر إنسان آخر.**

رائحـة الطين اللـدن.. وبقـايا رائحـة السـدر والكـافور.. تملأ جـو المكان وتـزيد من وحشـته.. يتكاثف حزنـه وخوفه! ليلة لا يدري متى تنتهي؟!.

الريـح هادئة.. لكن شيئاً مـا يتحرك.. يتحرك مع الـريح! **يزحف علـى الأرض.. زحـف ثعبـان أو حيـة رقطـاء تتـربص به** لتقتله. أحداث الليلة توشك أن تنتهي، لتنتهي مأساته.

ألقـى السمع وهـو غريق.. ضربـات قلبه مـضطربة. الـريح ساكنة. أحس بضيـق أنفـاسه المتـلاحقـة في رتابـة.. روحه كانت تصعَّد في السماء مختنقاً.

تَلَفَّـح ببردتـه الحضـرميـة.. الخوف يسكن داخلـه.. بل يغتال مشاعره.. أسلم نفسه لهواجس تبددت معها طمأنينته.

من أين جاء؟ كيف جاء؟ لا يدري! جلس القرفصاء غير بعيد عنه في ركن قصي لحيته كثة أشعث أغبر يتدثر بإزاره الأبيض! قد يكون سائلاً.. أو محتاجاً، ولكن أفي هذا الثلث الأخير من الليل؟ كل شيء محتمل في ليلة موحشة لا يدري متى يبزغ فجرها! مفاصله متآكلة، وخطواته ثقيلة ثقيلة .

سَرَت قشعريرة في سائر بدنه.. كآبة اللحظات الأولى تلاشت.. خوفه لم يعد يقلقه ولربما جاءه أمن يؤنس وحشته. بدا وجهه مشرقاً بالنور.. في عينيه بريق لامع.. وصوته جهوري له صدى.

❖ ❖ ❖